

عبدة الفد في ابعاد الماضي

✱

يقف

الفرد الانساني من حياته العملية موقف الاجترار . فيستبد بوعيه العاقل استبدادا استثنائيا تغلب فيه الميول الشهوية على الاستعدادات الصالحة التي تخفى في قلبه ، هانت العقل الرادع ، وتحول بهذا الاجترار الى صور محيرة تتنازع فيها عوامل الاقدام ، والاحجام . على ان - ضراوة النزعة والفرائز هي التي يقدر لها الانتصار ، فان كان الاصل قويا كان (الانضباط) اقوى وان كان الجلد ضعيفا حلت في عزمة الحلي ثلة رائعة تنخر فيها الحشرات .

ان عمل التريزة يقاس على ماضي النفس في التصبر عن احوالها المتوارثة اكثر مما يقاس على حاضرها وغدها ، ولذلك كان الاستقصاء الحقيقي لتصرفات الفرد والجماعة نتيجة الرجوع الى مآثر كات الاحداث الواقعة ذات الوجه المتأثر . في مرضاة التقليد والوراثات ، وما من رجل يقدم على التفكير بشي . الا وكان تفكيره مؤسسا على القوت المابر ، والافوات الصابرة هي الكلل الذي ينمو عليه البعض وهي التصميم الثابت لبنا . التند ، فاذا قصد فيها اتجاه ما ، عيشت بمستقبل المرى . ارادة سيئة وهوى متفسخ تتراحم فيه الحفارات .

وليس في (كوترز) النوع في الانسان ، واللون في صورة النفس ، ما يقرر احداثها وخلقيها في الحاضر الوجودي ، لان كل ابداع وانشاء وتركيب يتطلب تصورا ذهنييا في عنصر العاقل ، والصور الذهنية تكون وليدة اعتبارات وميشتات يقوون فيها الزمن . كما تدوب الانوار في العتمة ، فالحادث الطارىء هو عمل الاعتراق السابق ، ويدون التصور لا يتم العمل ، لانه الطبيعية تتوافق مع طبع الموجود فتكون له مهيشة - ويكون لها في اثاره كالمعمل المشعر الذي يعقل ويرعقل في قباسخ الاشياء .

فنحن - بناء على هذا الاعتبار - نميش على الوراثة ، وتندو خصائصنا على التقليد في كل شي . ، وتختلف الوراثة في نوعا اختلاف التقليد في لونه ، كلاهما يقرر مذهبا خاصا في التوجيه والتبديل ، وللاوراثة والتقليد اثرهما الظاهر في حياة كل فرد في الجمعية الانسانية .

اما ان يخرج الفرد على تقليده وغرائزه بشجوده منها جيما ، فتلك ظاهرة نادرة يتوقف نجاحها على مقدار قوتها في الارادة والتفكير والاستعداد ، وعلى قبول الجماعة العاقلة لها ، ولقد كانت جميع التقاليد والوراثات ظواهر عملية انبثقت من جرأة الفرد فتدت بذلك طويقة يقيمها المحذون ، وكمن اعمال فريدة واعية ماتت بولادتها لانها لم تخرج في الطبايع للمارضة لها . . .

ان الشعب الذي يمشد على تاريخه الناطق في حمله عبدة الماضي لتأسيس قواعد التند ، هو الشعب الذي يقدر له الفوز ، وعندما تقطع اليك العربي من تاريخه بقوله افكارا دغلة كانت سببا لتهدية ، قطعت بينه وبين القوة والذاتية والحرية والرتي . . صلة اجتماعية ، كانت واسطة لبناء جذران غيره من الذين اتمدوا على تاريخهم آعتاد القصر والاعتدار .

ايها العرب ان في الاعتماد على ماضيكم والرجوع اليه ظاهرة رجوعكم الى الحيد والاساطان ، فان قطعتم الماضي قطعكم المستقبل . . .

عبد القدر بري

ويبر رده - صيفه

مقرط الطول ، ضارع البدن ، عسك الحركات ، قد هصرت قائمته القاسية الساعات الطوال يقضيها في جلد غريب امام مكتبة المزيول العامر بالاسفار والاوراق . وكان على وجهه نفحات الملة ، وفي قسائه الدقيقة شحوب رفاق يومين عينيه الرقاقوين الوضائين ينطلق نور وضاح فيه رقة وفيه صفاء . وكان ملء العين متصل المجهود لا يكاد يقطعه الا بعزف رقيق يسترق فيه الانتقام من اناهل البيان في توجد وحنان واتصال بارواح أولئك المبدعين لولم الموسيقى اللابهاية والذين كان اعلم الناس بدقائق فنهم : فيها وتقوفاً وتاريخياً . وهل عرفت الموسيقى ذواقه عاماً مثل رومان رولان ! وما دامت الموسيقى اللغة الضمنية الرائعة الوحيدة ، قبل كان عجباً بعد ، ان يكون اكبر بشر في عصره بالاخاء والسلام ؟ لهذا قضى عمره فوق الحدود وفوق القيود ، فوق الاحقاد والاضداد ، « فوق النضال » كما قال ، لم يكسد يتخلف عن رسالة الانسانية هذه ، رسالة التوحيد التي ترمس فيها رسالة الفن الحادثة .

وتلك نوازع بينها وبين مزاج اتسفايح اقوى وشائخ القربى . قا ان اكتشفه وهو يقول له سفر « الفجر » من اسفار « جان كرسنوف »

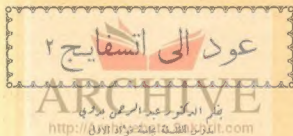
— هذه الرائحة الضخمة التي حاول فيها رولان ان يحقق غاية ذات ثلاث شعب : ايمانه وعرفانه يجيحل الموسيقى ، وايمانه بوحدة اوربا ، ونذاته الى الامم كيا يستيقظ ضميرها وشعرها — تقول ما ان اكتشفه ايان اقامته بايطاليا حتى كان اول عمل قام به حينما ارتحل الى باريس ان يسمى لزيارة هذا القديس الاديب . وما هو ذا يرقى الدرجات الحسن المثبوتية لمزله للتواضع قرب بوليفار مونتبارناس ، في هدوء الحسي الجاهم بين سككون اللدير الشيق وحضب المتهى الايق . فكان اللقاء الاول بين هذين الداعمين الى الصفاء والاخاء ، وكان حديث تبادل في الآراء من مصر اوربا التي كانت تهددها آنذاك الماصفة الهوجاء التي ستقلب كيانها بعد حين : فقوى الكراهية تحشد وتكثر من انبيايا الزوفا ، والمنافع المادية تغفر افواها الوحشية تريد ان تلتهم كل مسافي طريقها ، فان نيقاً واربعين سنة من السلام كانت كافية لاجداث تضخم مادي ونفسي هائل في شعب اوربا ، وان من شأن هذه

القرى وقد جاوزت كل طاقاتها ان تقضي بالشر على غيرها ، فلم يكن يد من انفيجار يركان الاحقاد والمطامع والتورات المتكاثرة على التحطم . فعلى الرغم من كل المظاهر الثقافية التي سمت جبهدها لصد هذا التيار المتذر بالدمار — وما اعجز الفن امام قوى المطامع الدتيا — لم يزد التبع الذي تقاب الناس في احضانه ذلك البعد الطويل هؤلاء الشعوب الابطراً ووحشية . فالشعوب بطبعها لثية ، وحذار من صولة اللثيم اذا شبع .

لكن كان لا يزال تمتلئ نفوس نغم من المفكرين الحالمين سوار من حسن الثقل بيني الانسان . فلم يرتاعوا لما ان وقعت الواقعة ، خافضة رافعة ، رجت الارض رجاً حتى كادت تكون هباء منبثاً وانقسمت على نفسها الى مسككين : اصحاب الميمنة ، واصحاب المشمة ، وان كان كل فريق يزعم في نفسه دون الآخر انه من اصحاب الميمنة ، وخصمه من اصحاب المشمة . وكانت لا تزال في اولئك المفكرين بقية من شجاعة تجملهم يحاربون كل قوى الشر ويتصدونها ، بمكس ما ظهر ابان هذه الواقعة الاشد من الاولى هولاً : واقعة الحرب العالمية الثانية ، من جبن وخيانة فشاهاذنا اولئك الدعاة الى

الاخاء يقيمون في عقر خورهم ، ماذا اقول ! بل ان منهم لفريقاً خان الامانة فدخل في المعركة مسخراً لخدمة فريق دون فريق . ولن يتغير التاريخ لامثال برترند رسل هذه الحيانة . فما ابعد الفارق بين موقفه في هذه الحرب الثانية وموقفه في الحرب الاولى ! لكننا القوي الشعبية للدمرة بطبعها هي التي ادت الى هذا التحويل المزري الذي هو علامة صادقة على الانحلال الرهيب الذي تنفذ الحضارة الاوربية في سبيلها اليه .

كان اذن تمت شجاعة وحرية . فقام فريق من الداعمين الى الاخوة الدولية يملن رأيه صارخاً في وجه دعاة الكراهية . وكان على رأسهم صاحبنا اتسفايح ورومان رولان . اما اتسفايح فسرعان ما احس بواجبه بوصفه صاحب قلم وعنده موهبة الالفاظ ، واجب التبرير من معتقدهاته . فكتب مقالاً بعنوان « الى الاصطفاء في الخارج » اعلن فيه انه يظل مخلصاً لهم على الرغم من انتطاع كل صلة بينهم وبينه ، اخلاصاً ييسر لهم جميعاً ان يستأنفوا جهادهم في



الاحفلة المناسبة لاعادة بناء الحضارة الاوروبية : واول الفصال
لاوسع الصحف الالمانية انتشاراً في ذلك الحين (خريف سنة ١٩١٤)
وهي صحيفة برلين «برلينر تاغبلت» التي لم ترد في نشرها بناتها
(فلم تحذف منها الا عبارة : « يا من كان المنتصر ») مع موافقة
الرقابة على الصحف ، مما اثار دهشة انتفايج نفسه ، وما لا تصدقه
مطلقاً بالنسبة الى هذه الحرب الاحمر - وهو ما يدل على انه كان
لا يزال غداً حشاشة حربية تتردد في نفوس الناس في ذلك الحين .

وبعد اسبوعين وصلته رسالة عليها طابع بريد سويسري وصحت
بها الرقابة النمساوية كتبها اليه رومان رولان وقال فيها رداً على
مقاله من غير شك : « كل لا تخفى على اصدقائي » . وكانت هذه
الرسالة ، كما قال انتفايج ، بمثابة حمامة بيضاء انطلقت من بين
مسيبة الوحوش المزججة المتقاتلة . فاشاع في قلب انتفايج الثقة
بنفسه اذ وجد من يشاركه ايمانه ويعلم عنه بشجاعة وصرافة
وهو ما لم يجده في هذا الحرب الثانية ، مما وكس في نفسه بأساً
سيقتضي الى القضاء على حياته بنفسه كما سعى به حين . حقاً لقد
كان رولان صبوراً فلم يتألم تلك العدوى المدمرة التي حلت بمعظم
الكتاب على التهاجر والتنازع والارضاء للزوات الاجرامية
للسياسيين والمسكرين في اوطانهم ، بل استقم بقلبه فوق هذا كله
فكشبر سائله المورقة « فوق النضال » التي احاطت فيما ضد الاحقاد
الفكرية بين الالام وطالب الفناين من كل الاصناف المذلة الانسانية
على الرغم من كل ما يجري من مارك ، فكان لما ازهى المائل
بين الكتاب حتى اثارت خصومة . . خصومة قلبية حامية الادر .

« وهذا هو الفارق الكريم بين الحرب العالمية الاولى
والثانية : في الاولى كان لا يزال للكلمات قوة ، ولم يكن قد
قضى عليها بعد ، ذلك التنظيم للاكاذيب المسمى « الدعاية » وكان
الناس لا يزالون يحترمون الكلمة المكتوبة وينظرون اليها بعين
الاعتبار . فبينما في سنة ١٩١٣ لم يكن لاية كلمة قالها كاتب
اي اثر - للشر او للخير - ولم يحرك الشعوب كتاب او رسالة
او مقال او قصيدة ولم ينفذ الى محبها ، كان في سنة ١٩١٤
لقصيدة من ثمانية اربعين يتأقصيدة لساور : « نضيد الكراهية »
او بيان فارغ مثل البيان الذي اصدده ال « ٩٣ » المنيا ،
او مقال من ثلثي صفحات مثل مقال رولان : « فوق النضال » ،
او قصة مثل قصة بروس : « النار » - كان أيها بعد حادثة جللا .
ذلك ان النضيد الاخلاقي للعالم لم يكن بعد قد اصابه الياء او
قضى عليه كما هي حالة اليوم . فكان يثور بنفس ضد كل اكدوبة

صريحة ، وكل حقوق للقانون الدولي والعالمي الانسانية ، يثور ويثور
مهمومة كانه لا يمان استتوتوا طوال قرون (ص ١٨٥ - ص ١٨٦)
وليس معنى هذا ان هذه الصيحة التي كان قد اطلقها رومان رولان
مثلاً قد لقيت الترحيب ، بل بالعكس لقيت من مواطنيه استنكاراً
بشاً تقطوع من اصدق اصدقائه ، ولم يحرق اصحاب المكتاتب على
عرض « جان كروستوف » ، وافسكت السلطات العسكرية في
اتخاذ اجراءات ضده ، لولا انه كان في سويسرا ، البلد المحايد .
وانما المهم ان الناس احسوا بما قال ، من ناحية ، ومن ناحية اخرى
لم يزد ذلك الاشاعة فظل يضرب الضربة تلو الضربة حتى
احدث اثرها العميق في ضمائر الناس ، كما اثبت بهذا نبالة رسالة
الكتاب والمفكرين واهل الفن ورفض الدار الذي جلبه اولئك
الذين خانوا رسالتهم تلقاً لاهواء السلطان القاسم والقوة الزائفة
وقطعان الشعوب .

وكم يجز في النفس اليوم ان تذكر ذلك الموقف الملي . بالنبل
والكرامة وتعارنه بهذا الموقف الحفزي الاليم الذي وقفه المفكرون
الذين خلال هذه الحرب المليية الثانية كلها ، بل لا يزالون
بقوته وقد التقى على انتهائهما ستان كولين من بينهم من يصرخ
في وجه هذه الانتقامات الرهيبة المشافية لكل انسانية ولكل
معنى من معنى الكرامة او انه ان موقف المفكرين في هذه
الحرب الاخيرة موقف تدي له صفة العقل الانساني .

وليس معنى هذه الاشادة بموقف انتفايج ورولان انهما
نفرهما على نواياهما الحفية او على الصورة التي اتخذتها هذه النزعة
قد ابدينا رأينا فيه في مناسبات اخرى (رابع هوم الشباب »
ط ١ ص ١٦١) و « الموت والبقية » ص ٣٣ (ص ٣٤) - وانما
زيد التنبيه الى مجرد اتخاذ موقف شجاع عليه ايمان صادق في وجه
كل قوى الشر المستورفة .

ولكن لنعد انتفايج ورولان في طريقها الى التآخي بين
الشعوب ، ولندع الحرب ووزارها ، كما نعود الى انتفايج قايماً
في عقر داره التي ستصح في فترة ما بين الحربين « فلا في اوربا »
والتي كانت تشرف على مدينة زلتسبورج بين الحدائق الغناء
وتحت ظلال الاشجار السامقة ، وفي جو من الاحلام اللونية الزاهية
قد عقدت عليه قبة البها ، الصافية واستكرف الى الجبال المنظاة
بالنوح ناحية الجنوب ، وان كانت دقات المطر لا تكاد تنقطع
عن هذه المدينة المشورة « باطارها الوترية » (Schnürliregen)
كما يقولون ، ولنفحات رياح الجنوب - ريج الفين Föhn - تثير

الاعصاب كما تثير التباور وتخرج الألوان على نحو غريب . وظل ملازماً هذا البيت في قلب أوروبا السنوات الثلاث التي تلت الحرب وعانت فيها النساء - المربع البتورة الى ابد حد حتى صارت صورة هزلية غريبة - أشد ما عرفت من مصائب . من تضخم نقدي ، وكراهية في الخارج لكل ما هو ألماني ، واذلال لشعب الي كان من قريب في قة الحيد .

بيد انه - وهو المقدد عليه التردد النبيل الموحى - لم يستطع البقاء طويلا . فماد حافر التجوال يهدد نفسه بعد ان استقرت بها الحال شيئاً فبدأ بالرحلات القريبة : الى ايطاليا حيث راح يطعن قلبه على آثارها الرائعة - ميلانو بكأندرائتها القوطية ذات الحواشي المطرزة بالذئقة الرائعة ، ورواقها (جاليا) الصامر بالحركة ، وفينسيا بوجها وبزليكنها وقد زاد عن حياضها اسد القديس مرقس . ثم الى ألمانيا المبهضة الجناح وقد سيطرت عليها في فتحها الاولى عصبة من الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين ومن بينهم فاتر راتاو الذي اصبح وزيراً للخارجية واشترك في مفاوضات ديلو المينة لأمانيا ، فكان جزاءه الاعتقال بايدي الوطنيين المتطرفين ، وقد كان عقوبة متمسكة ، ولكن وطنيته لم تكن تخفى من المظلم والمكابدة وتعرض لها انتعاج تاريخ تلك الفترة من ألمانيا - مع تحرير بطيخ من ماله قلنس فيه سمرين معرضين ، لان حديث هنا حديث سور مستأصل ، شاكشان بقية أبناء طائفته . ولا يمتنا هنا الا حديثه عن حياته الشخصية والضيف الكريم الجديد الذي حل بها على غير انتظار : وهو النجاش المنقطع النفي الذي تقيته مؤلفاته في ألمانيا اولا ثم خارجها ، هذا النجاش الذي لم يستمر الا الى سنة ١٩٣٣ حينما تولى هتلر زمام الامور ، فقد قراه الامان اجمين اويكاد ، وما لبث ان تهنر امام زحف اللواء ذي الصليب المعقوف في كل بلد حلما حتى لم يبق اماما غير بلاد الناطقين بالانجليزية وما اقل قراه فيها اذا قورنوا ببقية قرائه !

وهنا يتساءل اتسفايح عن عوامل التأثير للوفات في عصرها ، وعن الاسباب التي اقضت الى نجاح كتبه هو . فقال انه يرجع في نهاية التحليل الى « عادي الشخصية الدينية » وهي التي بطيخ قارى ، غير صور وذو مزاج . فكل اسباب وكل ترويق ، وكل ما هو جذاب لشوذه ، وكل ما هو غامض مبهم ، وما يبلي في مساق القصة او الترجمة لحياة ، وما هو ناقصة عقلية - كل هذا بضجرني . اما الكتاب الذي يحتفظ بمتواه باستمرار صفحة

قصعة ويأخذ بزمام النفس ويحملها بلا نفس حتى السطر الاخير فهو الذي يلؤني متعة كلمة . . . وهذه الكراهية لكل ما هو مطب طويل النفس قد انتقلت من قرائي لكتب الآخرين الى كتابتي لمؤلفاتي الخاصة وعودتي على الاحتياط لنفسي . فن هيجريان ان اتج بسهولة وانطلق الى حد بعيد ، وفي المسودة الاولى للكتاب اطلق الثمان لحالي ولا اذع حدا لجريان قلبي ، كذلك في ترجمة الاشخاص ابدا فاستخدم كل الوثائق والتفصيلات الميسرة لي ايا كان نوعا . . . لكن في الكتاب المطبوع لا يبقى من هذا كله سطر واحد ، لاني لا اكاذايض الصورة الاولى التقريرية للكتساب قبل ان يبدأ عملي الحقيقي : وهو التركيز والتأليف ، وهو عمل لا يجيد القيام به اذا اجرته من صورة الى صورة اخرى . انا انا انا بالقدائف تلو القدائف باستمرار ومن غير انقطاع ، واحكم التركيب الباطن وازيد وضوحا باستمرار فنييا كيعرون غيبي لا يقدرون على توطيد انفسهم على الامساك بما يعرفون ، بنوع من التزلج بكل عبارة محكمة البناء ، والمحاولة ان يظهر من السمة والمعنى كما يملكون - فسأني اطبع دائما ان ان اعرف اكثر مما يكشف في عنه السطح (ص ٢٩٣) . وهذا التطيل البازع لطريقته في الكتابة هو الذي يظهرنا على سحر الالفاظ . الملام قراءة التسفايح : فلي الرغم مما يبدو عليه من صفاء وبساطة ، فأنك تحس انه يكمن وراء هذا عمل شاق عظيم في الامانة والتكاد تستشف من وراء حرارته وانطلاقه ذلك الصراع اللينف مع المادة التي يماثلها والحالة التي يصورها وهو انما يجتفر الشخصية التي يحملها من امائها ، ولا يلجأ الى ما يلجأ اليه هنا امثال اميل لدع من اخذ صور متعددة وصفات مختلفة - وهو ما يؤدي كثيرا الى السطحية - بل يكاد ينمو بروحه مع روح صاحبه ويحا كل تجاربه في لفقة وتوجد ، ويكرر عليها المرة بعد المرة حتى يتيقن في نفسه فيضعها في صورة اخيرة لا تكاد تشبه الصور الاجالية السابقة في شيء ، لانه لا يصلح صورة عن صورة ، ولا ينقش مجلداً من مجلد ، بل ينبذ الواحدة حتى يبلغ اللب الصريح . وكان قاسياً في هذا التبدل والبتر شيئاً فشيئاً ، حتى كان من ابنت الامور للسرور لديه ان « يقتل فقررة كلمة » على حد تعبهم ، فكان يذ له دائماً ان يجري عملية الاقتطاع طمساً في توفير الاتصال وسرعة الايقاع .

وفي نشوة هذا الطفر المؤئل مالت شخص الطائفة العالمية الى الترويب ، واندفعت التيارات المهددة لتصب معها في الهكان

التأليف الكبير

زجرم معطى آل عيال

ليسانسيه في الآداب



كيف ألف هذا الكتاب

اعتزل

أحد الضباط في البحرية الإيطالية الخدمة وأدار في ميلانو، البلد الصناعي الشهير، مجلة سيكولوجية وشرع يطالب علماء النفس وبعض الإصغاء بأن يحدوه بالمقالات الضافية الزينة. وكتب فيما كتب إلى صديقه بطرس اوبليدي (Pietro Ubaldi) يسأله عما إذا كان يوسمه أن ينده ولو ببعض الشيء.

* بطرس اوبليدي يعمل شهاد المحاماة ويدرس اللغة الانكليزية في إحدى المكتبات في إيطاليا.
La Grande Sintesi-Pietro Ubaldi

وهكذا بدأ « التأليف الكبير »

La Grande Sintesi يظهر بشكل مقالات متتابعة في تلك المجلة التي صاها صاحبها « اجنعة الفكر » Le ali del Pensiero وكان ذلك في كانون الثاني سنة ١٩٣٣ وما كادت سنة ١٩٣٤ تهل حتى ظهر الكتاب اول طبعة من كتاب « لتأليف الكبير » وبعد اشهر الحقت بطبعة ثانية ونفقت هذه ايضا. واليوم ترى الطبعة الثالثة على وشك الطبع. اجمع العلماء الذين تفحصوا هذا الكتاب وسهروا غوره بكل دقة وعناية بأن صاحبه قد ألمه الهام. وصفت له

الامير كنان واحدر منه العلماء. هناك طبعين احدهما بالاسبانية والاخرى بالبرتغالية. وقريباً بدأستطلع علينا الطبعة الانكليزية في نيويورك. وستظهر منه ايضا طبعات في اللغات التالية : الافرنية والالمانية واليونانية والرومانية والاسرجية والعربية التي تتولى عب. نقله اليها. ظهرت الطبعات الإيطالية الثلاث متتابعة بدون ان يزداد عليها او يحدف منها. بل بقيت كما كانت تنشر في مجلة « اجنعة الفكر » دون سابق تحضير كبير من مؤلفها كما هو الشأن بشيئة الجرائع والخطوط ورؤوس الاقلام. كانت نقه

المعقود الى وطني تالت فجأة قبالي الى ظلي كما ابصرت ظل الحرب الماضية خلف الحرب الحالية. وطوال ذلك الزمان كله لم يفهمنى ذلك الظل المقيم، وانه ليرتق من فوق كل فكرة من افكارى آتاء الليل واطراف النهار، ولعل ماله الكافية ترقد على بعض صفحات هذا الكتاب ايضا. لكن، مما يمكن من شيء. فان الظلال نفسها تولد من الاضواء. ومن عانى الفجر والمهب وبالحرب والسلام والعلاء والاضلال، هو وحده الذي حيى حقاً (ص ٢٢٧) وكانت هذه تحية وداع من اتفانيج لهذه الدنيا الحافلة بالشوق لمن يريد ان يحيا حقاً، اعني: ان يتألم حقاً.

عبد الرحمن بدوي

أفاهرة

المتحضر للانقياد. ولم ترد النذر كل يوم الا ترويحاً عن فحاجة لانتفاخ فماد يتسكن. على عصا التشرد. فالفلا في اوربا كانت هدفاً لتفتيش الشرطة، لا شيء. الا اغاظة لصاحبها، والاعتقالات تجري بتعير حساب، وفي حشجة السلام ظن انه واجد حى - مؤقتاً - في لندن، وان كان قد ابقى ريشته كما هو عامراً بكتبه الثينة الموفورة، واحتفظ بجنسيته النمساوية. لكن هيأت الهيأت! فما لبثت النمسا ان دفوف على ارجائها لواء الصليب المقوف، فانقطعت آخر صلة له بوطنه، وعما قليل ستقطع آخر صلة له بأوربا لما ان ابليج فجر اول سبتمبر سنة ١٩٣٩.

« اشترقت الشمس ملء قرصاً بقوة وحرارة. وفي شعوري

الكاتب بنفسه كجبهة على متابعة مقالاته وقابل ثم الذين يقدون على مثل هذا العمل الجبار المضى في عالم الفكر . ومن منا لا يكر راجعاً الى ما دمجته براعته يقرأه اولاً وثانياً ويصح ويشتب ويؤيد . ان مقالات هذا المؤلف لم تكن بحاجة الى التصحيح وليس هذا تبجحاً منه ، كل شيء عنده يسير بسرعة الهوى في تلك البالي المختارة حيث « صوته » كان ينجبه .

كان لا يكتب الا لئلا . حيث السكون والسكينة والامن والطأنينة . حيث يكون العالم في اغفائه حلوة واحلامه المسجدية ... حينئذ يكون المؤلف في تناغم والمالم ، يكتب الفكر منه قوة الصاقه وتقوده التفتحات الالهية المنصبة عليه من عل الى ما يريده التناغم عنده تدريجياً . ببدي . ذلك بموسيقى شجية ذات الاغان الحذيفة الحفية تحمل المر ، على التفكير والابتال والصلاة . تلك كانت انظام موسيقية ما اشبهها بمسوفنيا وغر Wagner .

يتصاعد التناغم رويداً رويداً والمالم يتهد رويداً رويداً . حينئذ يشر المؤلف بخفة الجسم وانماقه من كل حجاب وحاجز ويحس بأنه تلك قوة الحدس والنظرة الفاضحة التي تنفذ الى الاعماق وتفرق ترائي الفولية والمبدأ الذي يسندها ويحرك فيها الحياة . يرى القوى التي تحرك الكون وتبقى له حركته النظامية . ويشمر بان العالم في الحقيقة نظام كبير قائم من فكرة الله ويحس بان الخلقوات كلها ترتل نشيداً يسمنه من بعيد وينسجم في صفوفها كجبهة جداً الا وهي التكوين . وهكذا تصبح النجوى عنقاً واسماً عظيماً وتكلمه بقية الخلقوات كاخوانه

فيملك العراع بيده ويكتب : يكتب بسرعة لا مزيد عليها وعلى اي ورق يقع تحت يده وبدون ان يشعل المصباح يكتب كالآلة المسفرة . ولا تكاد تنتهي هذه الأخذة حتى يتروى المؤلف الى ماله العادي وحينئذ يوسع ان يقرأ ما كتب فينصفه على الآلة الكاتبة ويؤمله الى الخلة بدون ان يسمح لقلبه بالمرور عليه .

وما هو جدير بان يستلفت انتباهنا ان هذه المقالات تفوق بكثير قوى المؤلف الثقافية والعقلية كما يدعي دارسوه .

الاسلوب والفن المستعملان من المؤلف هما املياً « التأليف الكبير » . فالاسلوب هو الحدس او هو ادراك عميق للحقيقة فوق متناول الفلسفة والمالم والمؤلف يقول انه لا الفلسفة ولا المالم يوسها الاجابة على المسائل التي يقترحها وحلها « التأليف الكبير » .

الحدس هو وسيلة الرؤية والاشكاف . متهدد اعلم من الماكن التي ينفذها التيارات الروحية ، اعني هو نوع من الفكر ذي الاشعاع الآتي من آخر فرع من مركز الخواطر والافكار ، ذلك المركز الذي استوى عليه الكائن الاعظم . كل شيء في الكون هو قوة وهذه تتقل بواسطة امواج تشبه الراديو الذي يحمل النوايا الاصوات من اطراف المصدرة النائية . والفكر ايضاً هو شكل من اشكال الاتصال بواسطة الموجات ويمكن ان يلتقط ويسجل من عقول هي في حالة ملائمة للتلقا .

ولتلق نظرة سريعة على بعض النقط في هذا الكتاب :

اول طابع يطالنا به هو طابعه الانساني ، كما يوسع البسطاء ان يفهموه .

اعني هو عبارة عن تجربة في تأليف واحد يجمع كل المعرفة معطياً جواباً على كل المسائل ذات الخطورة التي يمكن ان تترض العقل البشري . والقراء الراسخون في العلم سرعان ما يدركون فيه الجانب الاصح ، ما وراء العلم والفلسفة ، هؤلاء القراء الذين لو هموا بالاساليب الثقيلة الوحيدة قلن يستطيعوا ان ينفقوا ما في قمع الحدس . الكتاب اذاً يقرأ بقول متساوثة واعاق متباينة وهو سيناجي كل قارئ حسب قوى الادراك فيه . كثيرون هم الذين سيتجهون هذا الكتاب كجوع اقيسة واحدة ، حق ولو كانت متقنة بحكمة ، حيث العلم المتفرق يوجد اخيراً في مبدأ موحد مطلق (Monismo)

ومن يتصر ما يقرأ يجد طابعاً اصحي بكثير يعطي قيمة الرؤية المباشرة ، وس الذي يبيت الحياة في الكون وهو مثل صودراً جديداً للانسان في المعرفة الآتية . والمؤلف يقول يبدأ الناس في التأليف الواسطية يحسون باحساس ثلثه مفضي بالسحب محال ان يتمسكوا به بل يرفضونه على اساس انه ضد العلم ، سيجدون في هذا الكتاب عملاً نظامياً عقلياً بكل ما ملئ هذه الكلمات من القوة بدرجة انه يطابق ما فيه العلوم الحديثة . وهكذا سيظم الانسان بطعم الخير وقيمه على اساس متين البذور سرعان ما تنمو وتتكشف لنا عن الحضارة المستقبلية للآلاف السائبة التي هي على وشك الانبثاق .

هنا من خلال هذا الكتاب ، سيري الناس باتجاهاً انسانياً جديداً لاهلياتي خيراً سعيداً ...

مصطفى آل عيال



تبر النيل



الحمد لك يا أبا الحياة ،
يا أيها الاله السري المنبت من الظلمات
السرية !

انك تفيض على الحقول التي خلقتها
الشمس ،

وتروي غلة القطمان ،

وتقمع بيوتنا بالنور .

الا فلنتمتع الايدي بالراحة والعين
بالنوم ،

فانك تصب الملايين من انبائك
الذين يقدسونك .

عندما يتركب القصاص ،

تداعى العروش وثمار ،

ويندو الناس اكثر رقة من ظلالهم .

وعندما تخرج من موكبك ،

ترمش الارض من فرح ،

ويبت كل شيء من جديد ،

فيجد كل امرئ ما يأكله ،

وتطعم كل سن طعاما .

انك تحمل لنا كنوزاً لا تحصى ،

فانت موزع الاطعمة الفاخرة ،

وان العلو الذي يقيم من مساكنك

لا طيب شذا من البخور .

فيا ايها النيل ، ان جودك ليدينا
بفضلك يتدفق القمع في الاهراء ،
كما تتدفق امواجك على مصر .

لقد شربت السموع من العيون جيء ،
ولبت تنظر الى النعم التي اغدقتها
علينا كيف تنبع وتنضج .

أنت سيد الصبح الوردي ، والظهيرة
البياض ، والمساء الازرق .

وانت السيف الذي بدغضارب ،
والقرس الذي يجيئنا .

يا النيل ! لقد سلطنا اليك .
وها هي ملائكتك تحمل لنا حرايبك .
ان الالهة تيسر لك باجلال .

وان عيادتنا بأحلك تنضج .
اننا نفضيك بأيدينا ، بأيدينا !

تبر الزفاف



فرح في القلوب والعين ،

وهجة في اشجار التنخيل وعيدان
القصب !

ايها الحب ! ايها الحب !

ان الحمامة والصقر يجتان على غصن
واحد ،

والقط والثأر ينامان في حجر واحد ،

والسنور والفراشة يطيران معاً .

ألا دقوا أيها الناس الصنوج !

لقد جاء يوم لا تطفي فيه النار الماء ،

والمدية لا تخبج ،

والقوة لا تبتد .

ألا دقوا أيها الناس الطبول !

فرح في زرقة السماء ، وفي ذهب

الحصاد .

ايها الحب ! ايها الحب !

ان هذا الشاب وهذه المذراء هما

الان وجهاً لوجه ،

وقد نسيا كم بحث احدهما عن الآخر

في خلال سنوات طوال .

ألا فليتنظرا ليلة قدرهما بسلام ،

وليدعاه فجر ينهما يضربهما بالضياء ،

وليتحمرا من القلق على سمادة

اهلها واجباها ،

فان سيد الزور وايزيس وتوت

ونويت وسلكتيت وانوبيس ،

وقشاح وسات وهاتور ، وسيد

الحياة الابدية ،

وذلك الذي لا يعرف اسمه غير

الادوات ،

ليباركون جميع الذين مهدوا لها

طريق التعارف والحب .

ألا ايها الناس دقوا الصنوج والطبول !

صوت

شجر الزواجر

ان العاصير تغرد بمذبذبة اشهى من
كل يوم آخر ،
والنهر يجري اكثر ببطء منه في كل آن .

☆

☆

شجر الناعنات

☆

• على فتاة •

آهى ، آهى ...
أبكى على جيتك الذي كان سناه
يضاهي سنى القوم .
أبكى على قدميك اللتين كان يقدر
لها ان تحملك عندما تطفرين نحو الحب .
أبكى على فك الذي كان خليقاً
بأن يتلقى فيضاً من القلب .
أبكى على يدك اللتين كنت
ستزين بهما سريري اولادك .
أبكى على جسدك الذي لن تعانقه
الريح بعد الآن .

• على فتى •

ان عينيك ، وقد كانتا شحمتين ، لن
تضيتا بعد الآن .
ان خديك ، وقد كانا وردتين ،
سيبودان ويجهان .
أين المجد والقوة والظرف والكياسة ؟
أين هي ؟
أين انت ايها القلب السخي والنفس
الطيبة ؟
أين انت ايها الريح ؟
الا تم هادئاً ، فان الازاهير ستواصل
الازدهار ا

نرممها عن انفرسية فدرى فلعبي

ارقصي لتيها الياسمينه ! ارقصي
ايها الوردة التي قطفت من اجل البساتين
ومن اكثرها خفاء !
ان اهدابك الطويلة لتحمي عينيك
من وهج الشمس ،
وعقدك الذهبي الكبير يمع توتب
تهديك .

ايها الوردة الموشحة بجباب وردى ،
ايها الزهرة المسكرة اكثر مما يسكر
ساق الزنبق ،

ستعودك المذارى الى سيدك فيشرك
بما طعة دينية ا

ستأكلين صلاً في حصن ازرق ، وستكونين
رابعة قروية ، وستقطن الى النادل ،
وسمروى فك سيدك ،
وتخفت بلك حبل جلاله ،
وفي ليلتك الاولى ، ستصلي اصداك

النيل من اجلك .

وستحدث معجزات اخريات كثيرات .
لن سوف تقشر الدجاجات البصل وتقليه ،
وتنسل القطط الحضار ، وتنخل الفئران
الدقيق !

انك تطفعين بهجة ، ايها المشمة
الصاخبة ، وان سعادتك لنذهل بنات الملائكة ،
ان اجل برتالين قد عصرتا على
السرور والثور ، ورومانه الدم قد انفجرت عليه .
ظلا واقدن ، فان الشمس لما
تنهض .

أيسا الرجل ، دع يدك تبهذهذا
القلب الحار . وأنت ايها المرأة ، دعى شرك
ينسل هذا الصدر الرحب .

عندما ترجع الماصفة حول بيتك ،
وعندها ترتعد من خوف . .
سرعان ما تلمح قوس قزح ،
اذا سمع آله النور بأن تسمع صوتاً
أيقاً ،
سواء أكان صرخة طير داجن ، او
تقيق صفدع ، او موا . هرتك . .
صوتاً يطمئنتك ويمزك ،
لأنه ينبئك بان مخلوقاً آخر .
يشجيه ما يشجيك .

اغنية غرامية شجية

☆

هزت الريح باب منزلي ،
فحسبت ان حبيتي قد عادت ا
فيا ايها الريح الحادة ، ايها الريح
البقيضة ،
ألا تشفقين على قلب حزين ا
ان صفائرها قيدتي الى الابد ،
وان رانفتها بطيخة من الجزائر ،
وتديبا رمانتان من بساتين القيوم ،
وشعرها راية مضمخة بالطيب .
اذا التيت من احب ،
فاركع امامها ، وامسك طرف
نحارها الاسود ،
وقل لها اني اتمنن وأنتظر . .
وليغفر الله لنا ان أبت الاصفاء اليك .



احسب نفسي وأنا افزع مساء كل يوم الى غرفة الشيخ سليمان وزوجه العجوز انني فراشة صغيرة من تلك الفراشات اللعوب التي كان يقربها ضوء نجيل ينبعث من مصباح حديق فتمتلئ من النافذة وتسمى اليه ، مسفة مصعدة ، وتروء حواليه مرة أو مرتين ثم تعود بركن مظلم من اركان الغرفة .

وسكان الشيخ سليمان يؤكد لي ان كل فراشة من هذه الفراشات هي روح من ارواح احببنا الذين اتوا وأن هذه الروح انما انت تؤذي لنا الزيارة .

وكنت بخيلتي الصغيرة واليمني الساذج اصدق كل ما كان يرويه لي ، حتى لا اذكر انني بكيت مرة بكاء مرأ حين رأيت فراشة تدف بين صاحبيها الزاهين ، مقبله نحوي ، وكان الشيخ سليمان يسرد لي بعض ذكرياته عن ابني الذي مات منذ سنتين ، فضيل الي أنروح في الطاهرة قد استعارت جناحي هذه الفراشة ثم هفت ساحية الى زيارتي .

وكانت غرفة الشيخ سليمان لصيقة بدائنا ، يقضل بينهما جدار قديم ، كأنه قد اقيم ليكون حاجزاً بين دعة العرش وضئكه ، بين دارنا المنيرة المنضعة الاطراف وتلك الترفة المظلمة الحقيقية .

وكنت لا اعدو العاشرة من عمري وكان الشيخ سليمان يستشرف السبين او تحطأها ، وانني لا اذكر لحيت البيضاء التي كانت تكسو معظم صدره ، كم عشت اناملي الضعيفة بها ، مازحاً أو لاهياً ، واذا ذكر ظهروه التي تقوس والحنى ، كم حيوت فوقه وهو يسر بي في هيئة وهذو ، الى المدرسة ، او يتغذ صمته بي عقيب صلاة الجمعة الى المكان الذي تعود ان يضع فيه « صندوق

البويه » مورد رزقه الوحيد . فاجلس قوياً منه على كرسي صغير لا تقلد في جذل وشفت كيف يسبح الاحذية بهارته الفائقة . وخطيه البيضاء تواكب حركة يديه البليتين .

وكثيراً ما كنت اهموم من الناس فأخذت لي نوم هنيء ، داخل صندوق

خشبي الى جانبه تنسم في انفي رائحة « البويه » العربية ، وتردد في اذني ضربات متواترة خفيفة وهو يقرع بفراشاته الناعيلة ظهر « البويه » يدعو الزبائن اليه .

كانت والدتي تنظر الى الشيخ سليمان وزوجه العجوز بعين الرعاية والطف فقد كانت العجوز لي ولاختي كالمربية الحنون ، وهي امرأة مسنة أوفت على الحامسة والسعين ، وكانت قصيدة هضمية الوجه ، تظلم في مشيتها ، وتثايل كتبها اليسرى لكثرة ما كانت تنو . به وهي تنقل جرار الماء الى بعض البيوت القريبة الينا . وكانت على تقدمها في السن وهزالها ، نشيطة ، دؤوباً ، لا تنبي ولا تقفر عن الحركة . وكنت اذيعوها « نانة » فقد كانت تركية ، لا تقفه من المربية غيو كلمات ، وكان من عاداتها ان تذهب بي في كل صباح الى المدرسة وفي المساء يعود بي الشيخ سليمان ، حتى اذا تناولت طعام الشاء ، تسلمت على زجر امي ونصحا ، الى غرفته المظلمة . وثت كنت ارمق ، في اعجاب ، هذين الشغصين الكرويين وألأس حوارة تلك العاطفة الخلوة التي كانت تذكرو ، يوماً بعد يوم في قلوبها الكبيرين .



ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhr.com

وكان الشيخ سليمان ، يقص علي بصوته المشدج اشتاتاً من الحكايات اما زوجه فام تكن تفتي بسماع حديث زوجها بل كانت تمد لنا الشاي ، هادئة ، صامتة ، ولا تنسى ان ترهب صمها الى الخارج وتبسم حين جارتها الحاجة ام خليل تصب على الدلو لئلا تبا وبذا ، اتاها ومو يروي في اعماق البشر ، حتى لقد تبصق فوقع غاضبة مزجرجرة ان لم يواتها ان تسحب في يسر .

وكان يحسلي لي ان اصفي الى حديث الشيخ سليمان الشيخ المانع ، وكان خيسالي ينسرح ، الى بعيد ، وهو يؤكد لي حين يلح فراشة قادمة الينا ان روحاً برة كريمة من ارواح احببنا قد اتت لتؤدي الزيارة .

كان ذلك في اول يوم من ايام عيد الفطر وكان يوماً رائئاً فقد اخذت من امي مجيديا ايضاً لادماً يتهاسل ألفة بين اناملي .



مداداً الى الصديق محمود يسودك

تسمى فيه لوعة واستغذاء ، ان ليس لديه ما يكفي للاتفاق على جائزة تامة ولم ينس ان يشعر الى ان امي قد اعانته . ومضيت توا الى امي اطاب منها ان تعطيه زيادة فقلت لي وقد زوت ما بين عينيا .

— لقد اعطيت ما فيه الكفاية يا بني .

وتذكرت المجيدي « عيدي » الشيعة التي كنت انتظرها يوماً فيوماً . علام لا اعطيه هذا المجيدي ؟ وبدت لي فكرة اخرى مغربة ولكنها خطيرة . انا اعلم ان امي تضع الدراهم في الخزانة ، وهي غالباً ما تنسى المفتاح في القفل . ليس ثمت احد في الغرفة ، فامي مشغولة بالطبخ ، تبيع طعام العيد مع الخادم ، واخوتي في غرفة اخرى تستقبل احدى اترابها . وتسلت في خفة الاصل الى الغرفة ورأيت المفتاح كما كنت اتوقع ، فأدرته وانا ارتجف وفتحت باب الخزانة . هذه هي حفظة النقود امامي مفعمة بالمجديات ، وترددت قليلاً ثم مددت يدي واخذت مجيدياً . ولم يتح لي اضطرابي ان انتقي من بينها اكثرهما لينة وبريقاً وجدة وقد كنت اكلت بالمجيدي الابيض الموثق الجديد ، واجافت يدي المرتعشة باب الخزانة . فأسس لي في صرير اجفاني وهاج في قلبي خوفاً شديداً . وحطت من الغرفة والعرق يتحد من جبينتي وحطت في المديرة افكرو . وكنت اشد على المجيدي في راسي وانظر اليه في وجهه مشرب بالندم والحوف . ورضعته الى باب المجيدي لا تراه . انها يلتصقان بالثقبان ، وضعتهم اهل راحتي وعزبتها اصغى الى زينها العذب واخذت اتلفت حواالي اخاف ان يكون هذا الجرس الحلو قد خلاص الى اذن احد غيوي .

آه اكم اكون سعيداً لو كان لي هذان المجيدان !

وقد اقيمت المجيديين معي ، واثمت الخادم المسكين بسرقه المجيدي . لقد آثرت بها نفسي ولم اعط الشيخ سليان واحداً منها . وكنت اعلم ، الى ذلك ، اني سرقت مرتين . سرقت امي ثم سرقت الشيخ سليان . آه من الطفولة الجاحدة

وشيع جائزة تامة ، خمسة او ستة اشخاص وكانت تسير في بطء وسكينة وتشايل نحو جانبها الايسر ، فقد كان احد الذين حاولوا على اكتافهم ارجع . فكأنها لا تزال تضع جرتها على كتفي اليسرى المهدود وتظلم في مشيتها حتى في الموت . وكان الشيخ سليان ينظره القوس يتنثر في سيرة رايها وحليته البيضاء لاني ترتش كما عليه النعم .

لم اتفق ذلك المجيدي لقد خبأته في مكان حريز ، كنت

اي شيء . ابست على الفرح والسعادة في قلب طفل ، حين بأخذ من امله هذه « المديرة المنتظرة » وخضت لازور قهر والدي كما تدتي في كل عيد كورجمت من ثمانية اختيالاً وزهواً بذلتي الجديدة ، وفي يدي المجيدي الابيض اللامع اخالسه نظرات حذب وحنان وأفركه بين اناملني لإزداد الله ، واليت نفسي في ساحة المرجة ، اصغى الى موسيقى الجيش والى جانبي بعض رفاساتي في المدرسة يتلغون انغامهم الصغيرة المتطلعة ويتراخون على الرؤية .

وبصرت بواحد منهم وهو يخرج من جيبه مجيديين ، لا مجيدياً واحداً ، فيضمها مل . راحته ثم يبرزها في غرور صبياني كأنه يرتاح الى هذا الزين اسفل الناعم الذي كان يخلص منها الى الاذن . وقال لي مباحاً .

— لقد اعطيت امي هذا المجيدي .

ووضه فوق ظفر اياهامه وضم اليه السبابة ثم دفعه في الفضا . ففقر كالمرادة وتعالى ، مبتلاً ، برفاقاً ، وتلقه بجراح راحته اليسرى .

— وأعطاني في هذا المجيدي .

ودفع الآخر في الفضا . ثم تلقفه خيلاً .

اما انا ، واسفاه ، فلم يكن لدي سوى هذا المجيدي الذي اعطيتني امي ، وتبدى في قلبي ، قائلاً : ياها ، قد نصل لونه وذعب اشراقه ، ترى أستطيع ان يفي وحده بكل مباح العيد ؟ ربه ! لما مات ابي وحزوني من مجيدي آخر في هذا العيد . ورجعت الى الدار ساهماً واجماً ، وصالح بكفري الى الاقارب الباب حركة غير مألوفة امام دار الشيخ سليان ورأيت الحاجة ام خليل تخرج متجبهة الوجه . وسك صمعي لقط وخفت اقدام وبكاء مكثوم . ولما فتحت لي اخوتي الباب رأيت جنبها تحتلجان بالدمع كأنها مشفية على البكاء . وقالت لي في صوت كالمس .

— لقد ماتت (تالة) الباردة في الليل .

لم ايك في هذه اللحظة وموت فترة خيل الي فيها انه ينبغي علي ان لا اصدق هذا الجرح حتى تنقضي مباح العيد وافراحه . بيد ان الدمع قد غلبني وانا ارى الشيخ سليان يبكي ، في صمت ، والدمع ينهمر على مسارب وجهه للضن ثم يغيب في بياض حليته . وقال لي .

— لقد ماتت رفيقة الحياة ، ذهبت الى الجنة يا بني ، لقد سكنت قلبها وهي صالحة ، دون ان تشكو اي ألم في غضة عين هكذا . واغض عينه ووضع راحته على قلبه كأن ميتاً وهي صالحة تواسيه وتخفف من ألم مصابه . وأفضى الي في صوت مضطرب

اشعر انه ياسعفي كالتار وانني لا استطيع ان امسه او اراه .

ومنذ ذلك اليوم لم يعد يطيب لي ان افرع الى غرفة الشيخ سليمان في لسا، لاضفي الى شرارد قصصه وحكاياته . وقد بدت لي غرفته المظلمة القمطرة ، بعد ذلك انها كانت مظلمة حقاً ، وان القلب لا يرق الى رؤية هذا السواد الكئيب الذي يجيم في اطرافها لقد اخذت تلك الفراشة الشرود تفرق ان تجوز وصيد هذه الترفة تزدود حول مصباحها الحقلي لقد اصبحت كل زاوية من زوايا الترفة مبهوثة بشراك عنكبوت ينتظر ان تمتد فراشة تائهة غيرة بنسج خيوطه .

يلي . لقد زرتك بعد ذلك لأعزيه ثم زرتك مرة اخرى بعد فترة من الزمن طويلة وقد ذكر لي اذ ذاك بسانته لم يعد يقوى على العمل فقد سارع الوهن اليه بعد مصابه بزوجته وقد كانت تبينه بما كانت تصيبه من الدرامم ، تحدم هناء او هناك . وانه يشعر بالوحدة الممثلة لثمة ، وقال لي وقد شعص بسره من الدرة الى الحاجة ام خليل وهي تمتح الماء والدلو يتدلى في الاعماق ويرتد بحوال البشر ، ويتناهى الى الابد .

— انظر الى هذه الفراشة المقلبة ، لا بد ان دورها قد علمت انك حلت ان هذه الدرة فاقدر اني سأكون في بيتك وبكى .

وتجوزت ايام ، وكنت راجعاً من المدرسة بمناظري ، ادمي في الدرس الطويلة اللاحقة المؤدية . مشيته ويترنح كأنه محمور ، فاسرعت اليه ووضعت ذراعي على كتفي الصغيرة ورأيت وجهه مبتسم مسكناً . البار . فتر الي بطرة شكر وثمان بعين محمور . ونودتم انتم انتمسة شاحبة كأنها انبسام الموت . وسالته وقد جاوزنا وصيد غرفته .

— اذا تشكروا يا عمه ؟

فنغمض كلاماً مبسراً ثم قال .

— مريض اكاد اموت .

— وعلام لا تذهب الى الطبيب يا عمه ؟

فسابستم ولم يجب كأنه استحيي ان يقول ان ليس لديه درهم واحد .

وفي تلك اللحظة تذكرت المجيدي ، الذي خيأته بعد ان سرقتها وآكرت في نفسي . ويحي من غي كيف لم افطن اليه من قبل ؟ وأشرفت في خاطري ففكرة ومضيت كالسهم الى البيت وعدت

به ثم وضعت على تضد حقيبتي قريب منه ، فانداح ، ابيض ، لامعاً ، مشرقاً ، واجال الشيخ بصره في وجهي ، مسائلت قلقت له كلمات متقطعة .

— انه لك ، لك يا عمه .

وسرعت في الخروج خشية ان يباه وتاديت الحاجة ام خليل جارتها المعوز الطيبة القلب لتعني به . وذيت . وشعرت بعجلة تملأ اعماهي ، ان ابلو بعد الآن وخز الضمير رياه ، اصبه رياه ! وموت ايام ثلاثة . . .

والثقت بخليل ابن الجارة المعوز في بعض الطريق فابشترتي قنالا :

— لماذا لم تخرج ورا . جنازة الشيخ سليمان ؟ ان هذا عقوبتك . ونلت عني صيحة دهشة تخالطها الحسرة : هل مات ؟

ولم اع ما قاله بعد ذلك وخفت الى الدار وفي عيني يزدحم الدمع .

— اياه . لماذا اغفيت علي وفاة العم سليمان .

انني نعلم انك تحبه وانك لن تطيق رؤية جنازته وقد كفنت وشيع . فن وكنت انت في المدرسة لقد مضى كما ينسحق الحلم .

و كنت في دهر . برأسه . فقد علمت اني سادس لا دور عركة الشيخ .

فتحت في الحاجة ام خليل الباب وقادتي الى الترفة الحقيقية المنصدة وجاست هي في العتبة تنظر . ابدأ الكلام واجات عيني في الترفة . ولحت فراشة تتخبط في شراك عنكبوت وسألتها في صوت خفيض مزيج بالهبة .

— متى كان ذلك ؟ وكيف توفي ؟

فأصلمحت طرحتها التي تجلج بها رأسها ، وارهفت اذنيها الى صوت كاللاين يتأذى الى السمع . لا شيء ، انين الدلو وهويوي متدياً ويرتطم بجوال البشر ، ثم نظرت بمؤخر عينها في غير اهتمام الى الفراشة صغيرة وقد بسطت جناحيها تيم ، مسقة ، مصعدة في فضاء الترفة كأنها روح شاردة .

واجابت .

— منذ ثلاثة ايام يا سيدي ، ولم نجد معه سوى مجيدي ، مجيدي واحد صرفناه نفقة على جنازته .

بربع عيني

باربين

كانت واقفة الى المرأة وجهاً لوجه ،
راحت تسكي ، وراحت
قطرات الدموع على خدها ، راحت تضحك .
وفي الضحك والبكاء ،
في مطل هذين الوجدين من وجوه الحياة
رأى الناس فضحكوا ،
ولم يبكوا ...
قالوا عنها . محنونة ..
فاستطابت اذنبا القعب ، ورددته في
اعناق اذنبا ...
فأملت ، ثم ابتست ، ثم سألت نفسها
عن نفسها ، وعن الناس ،
ثم قهقهت عالياً ،
قهقهت معها رفيقتها في المرأة ،
ماذا يفعل المجانين ؟؟
ماذا يفعل العقلاء ، ؟؟
وساد الصمت كل صوب ،
ثم قهقهت مرة ثانية ،
وسمعت بأطراف كها بقايا الدموع
من خلفها ،
من آتت الحياة في صحراء خديها .
وجلست على السرير لا ترى شيئاً ،
كأنها غابت نفسها في خلية نفسها .
... وصر مفتاح الباب صريراً ،
واستيقظت من حبرتها البعيدة ...
لم يدخل أحد ،
ونظمت في المرأة مرة ثانية فوجدت
صبيبة مثلها جالسة هناك في المرأة ، مستيقظة
على صرير الباب ،
... « آجبي ... لا تخافي ... »
نحن هنا وحدنا ، لن يسمعنا سامع ،
... مجنونة ... أو أنت مجنونة ؟؟
... « أجل ... ولاكن مجنونة ... »
وصرخت ،
فصرخت المرأة ،

وعرفت الصبيتان ، هه وهناك ، في
قهقهة كأنها حقاً حناجر المجانين ...
* * *
لم يسبق شيء في الرعدة لم تشوشه
تشوشاً ، وهي تظن نفسها تفتش عن شيء .
لم يبق الا جدبنا شعرها الاشقر ،
فراحت لتلمها تلمو يجادلها ، ثم تنشرها
على كتفها كقطم سحاب ،
ثم تنظر في المرأة ،
وتضحك من هذه التي لم تجد ما
تعبت به ، فعبثت هي أيضاً بجمل شعرها ،
وغامت عينها ...
ومد الايل على الترفة بساطه ، فضاعت
الفتاتان ،



واحدة في السرير ، وواحدة في
الزواج .
وصر الباب صريراً ...
ودخلت أمها ، واضاءت المصباح .
ففرز في الترفة ، من هنا وهناك ، من
وراء المرأة ومن امامها ، وجهان غارقان
في ضباب النماء والتأمل ،
واطفأت الام المصباح على عجلة وهي
تدم :
« مجنونة ... مسكبة انتي .
مجنونة ... »
وتنادى كل ما في الترفة ،
فقد اصابت الاشياء في هذه الترفة

العجبة قطعاً حية من الاطيان والاشباح ،
وشهقت في النعيب ،
ثم انصبت كتوبة المجانين ،
وحملت قبضتها وهزلت الى المرأة ،
علم تر لونا ،
وتلفتت ملياً ، فلم تلح عيناً ...
* * *
... وصر مفتاح الباب ببجلة ،
فقد اسرعت الحادام لترى من كسر
المرأة ،
وفي الضوء ،
يدت المجنونة واقفة وحدها تدوس
بقدميها الحافيتين الزجاج المططم ،
وعلى خدها دمعان ،
واحدة من هنا ، من مقلة التردد ،
وواحدة من هناك ، من عجز الثقل ،
* * *
ربي ،
تي يصبح في لي غرقي مرآة ادى
رحيمي ، ارى دوماً مدسي ،
لا تحطها يدي القاسية المجنونة ؟؟
ولا تحولونها عتمة ؟؟
ما اسهل الحياة ، يوم تصبح الحياة
تقهر مجانين ...
ترى ... اين توارى وجه تلك التي
كانت تقهقه منذ لحات بمن وراء المرأة ؟؟
وهذه التي كانت تقهقه من امامها ؟؟
لقد تحمى كل شيء ، وامتدت على
الماضي ابتسامة عميقة ...
ليك ربي جملتي ونظري ، تيسر على
اهداب عيني ...
ربي ... جميل هو الجنون لانه لا
يبعد الانسان عن نفسه ...
جميل هو الجنون لأنه لا يبعد النفس
عن الانسان ...

الادب المجهري ادب رسالة

رسالته الى الحياة

بشم عيسى ابراهيم الناهوري



أخطأ الكتاب المغربي لإعدها الى قواعد قديما، المغربيين، ثم اضاف الى ذلك كتابه «نجمة الزائد» الذي حشد فيه اكبر مجموعة ممكنة من المترادفات، ليتفوق بذلك على عبد الرحمن بن عيسى المهدي الذي قال فيه صاحب بن عباد: لو ادر كنه لاموت بقطع يدها، فلما سئل عن السبب في ذلك، قال: لانه جمع شوارد اللفظة وروضا في افواه صبيان المدارس... وهكذا مضى اغلب العرب في احوالهم، حتى ان كتاب علي الاصح - على هذه السنة - في «التي قمت» في القشور دون الباب في الغاب.

أما المشركا فقد كان - وما يزال الى اليوم - اقلهم يتنافسون في تقليد أساليب الشعراء السابقين، بحيث لا يمكن لمن يطالع شعرهم ان يقع فيه على شخصية متميزة بخصائص اصلية، بل يستطيع بسهولة ان ينسب شعرهم الى بعض شعراء عصر الانحطاط او الاصر التي سبقته، قاسما كما فعل الرواة في نسبة الكثير من شعر صدر الاسلام الى شعراء الجاهلية، وذلك لعدم وجود ميزة تميز شعر ذلك العصر عن سابقه. وهكذا كان الادب العربي، حتى ظهور المدرسة المجهري، او على الاصح حتى ظهور جبران علي وأسس المدرسة المجهري، وبعده بقليل، استمرارا لادب عصر الانحطاط في اغلبه، او امتدادا، فيه تشويه ومسح، لادب العصر المباني، وكان الادباء لا يعرفون شيئا اسمه «الحق» او «الابداع»، فكان هذا جريمة في نظرهم، لانه خروج على سنة السلف الصالح... حتى صبح فيهم قول نعيمة في «غرياله»: «انهم خلقوا واماتوا ليتنزلوا بظلمة القلادة، ولحان المشرفيات، ووقع سنابك الحبل، وسفك السماء، ومشي الابل، وأطلال

برزت مدرسة المهر الادبية الى الوجود في زمن كان كل مساهم فيه في الترقق تقليداً ومسخاً، والادب ينوع خاص بليدة وعجزاة، فهو الفاظ وتراكيب تعتمد قبل كل شيء على القاموس، وعلى قواعد البلاغة والمروض، لا على الماطلة والفكرة والشعر، حتى لقد برز عصر النهضة، على قصره - ولا سيما حتى اوائل الحرب الكونية الاولى - اكبر مجموعة من المماجم، فقد وضع بعلوس، في سنة ١٩٠٠، «المعجم المحيط»، ثم قاموسه الثاني «المتحد» في سنة ١٩٠٤، ثم ظهر ابتداء «الستان» و«فاكتة» في سنة ١٩٠٥، و«أقرب الموارد» لشرطوني، و«المنجد» للاب لويس مطوف اليسوعي، وقد اختصر حديثا بقاموس للجيب، وكذلك وضع الكرمل في أوسع المماجم العربية على الاطلاق، ودعاه «المساعد»، وقد قررت حكومة العراق، قبل وفاة الكرمل، ان تطبع هذا المعجم على نفقتها، وكذلك وضع الكرمل نفسه تصويبات كثيرة على مماجم لتربية مختلفة، كما وضع الشدياق تصويباته لقاموس الفيروز آبادي في كتاب دعاه «الجاموس على القاموس».

ثم عرف هذا العصر نفسه اثنان الكتاب بتقليد الاساليب القديمة تقليداً اعمى، لا يميز بين الجيد والردى، وبين ما يلائم روح العصر وحاجاته، وما ينافيها. فالشيخ تاصيف اليازجي، مثلاً، اراد ان يظهر براعته النوبية وكثرة محفظه من الالفاظ القديمة المهجورة، فألف «مجمع البحرين» على غرار مقامات الحريري والمهذاني، ومثله فعل اللويطي في «حديث عيسى بن هشام». وابراهيم اليازجي لم يجد خدمة للادب أبدي وأعمى من ملاحقة

المنازل ، وثار القري ، وبمضهم وجدوا - وهم زهرة ايامنا -
لتنشيط المعاجم واجساد القرائح في تذليل القوافي الشاردة للمدح
والتهنئة ، ولرثاء كل من يزور القرب وهم حضور ..

في هذا العصر الذي كان في الحقيقة امتداداً لنصر الانحطاط
وان يكن في الظاهر بدنهضة ادبية جديدة ، اجتمعت في المهاجر
الاميركية نخبة من الشباب المثوب المستنير ، طرحت بهم اسباب
الامس ، وبين جوانح كل منهم رصيد كبير من المراهب الكبيرة ،
التي تعين الفرص للفرز الى الميدان ، مزودة بكل صفات الخلق
والابداع . وكان اسبقهم الى الظهور من مهبه البعيد جبران
خليل جبران ، وأمين الريحاني . ولم تلبث ان انضمت الى قليهما
الجزيريين الخلائين اظام اخرى جريئة خلاقة ، ثائرة كريمة من
الشبان ، الذين كانوا جميعهم يشرون بما في النهضة الجديدة في
الشرق من عوامل الضعف والانحطاط ، ويرون انه قد آن الاوان
ليترفوا بالادب عن التقليد المبذل ، الى حيث يمكن ان يساهم في
الانتشاح الادبي الانساني ، ويسلكوا به في سبل شريفة حرة ،
تحفظ له جلاله ومجده ، ولا يصاحبه كرامة نفوسهم وكريمة
وأقلامهم . وهكذا وحدث بينهم الحوافز ، فاذاهم بنصرا فون نيمه
وباحلاص وغيرة لتأدية رسالتهم الادبية في ...
والى اللغة العربية من جهة ثانية ، والى ...
وسل اقرب السبل الى تعريف ...
المهجر رسالة الادب الى اللغة العربية
عنوانه « مستقبل اللغة العربية » كتبه رداً على سؤاا وجهته مجلة
الحلال اليه والى طلائف من مشاهير الكتاب العرب ، وفيه يرى
جبران « ان اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الامة ،
فاذا هجمت قوة الابتكار ، توقفت اللغة عن سيرها » . ويقول :
« ان مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع ،
الكائن - او غير الكائن - في مجموع الشعوب التي تتكلم اللغة
العربية » . ثم يرى ان خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لحياء
اللغة وانعاشها « هي في قلب الشاعر ، وعلى شتيه ، وبين اصابه » .
فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر ، وهو السلك الذي
ينقل ما يحدثه عالم النفس الى عالم البحث ... وهو ابو اللغة وامها ،
تسير حيتا يسير ، وتربض اينما يربض ... وأما المقد فهو تاسع
كفنها وحفأر قهرها » .

ونحن نفهم من لفظة « الشعر » ههنا ، أنه خلق الافكار
والعالماني الحية القوية ، او هو كما يفسره جبران ، اذ يقول في كتابه

« دمنة وابسامة » : « الشعر يا قوم روح مقدسة ، متجسمة . من
ابسامة تحيي القلب ، او تهدئة تشرق من العين مدامها ، اشباح
مسكنتها النفس ، وغذاؤها القلب ، ومشرها العواطف » ونفهم
من لفظة « الشاعر » انه « كل يحب للحياة المحررة » - كما يقول
جبران - والزارع الذي يفلح حقله بمحراث مختلف ولو قليلاً من
الحراث الذي ورثه عن ابيه . او « الذي يعد اصابع وحبه الحفنة » - كما
يقول نعيمه في غياله - الى اغشية قلوبكم وافكاركم ، فيرفع
جانبا منها ، ويجول كل ابصاركم الى ما انطوى تحتها ، فيصرون
هناك عواطف ، وتعاون على افكار ، ولاول وهلة تصبونها
أفكار الشاعر وعواطفه ، ولكننا في الحقيقة عواطفكم وافكاركم ،
لم يكتشفها الشاعر ، ولا ابتدعها ، ولا ايقظها ، ولكنه رفع
جانبا من الستار عنها ، وصوب كل ابصاركم اليها ثم ترككم
واياها تستطلون الوانها ، وتتفحصون معانيها » .

ونجد مثل هذا المعنى الذي رمى اليه جبران ، او قريباً منه ،
في مقدمة ميخائيل نعيمة لمجموعة الرابطة القلمية ، التي يقول فيها :
« ان الرابطة القلمية ما كانت لتقدم هذه المجموعة الى قراء العربية ،
ولا انتقادها بأنها قد اتخذت من الادب رسولا ، لا معرضاً للازياء
الشرية ... رجة الروضية ... »

والذي نرى ان ميخائيل نعيمة هو خير من يربنا رأي
جبرين في اللغة في احسن الطرق الى انعاشها ، ولذلك لا بد
لنا من الوقوف طويلاً عندنا ، لنستشهد بأقواله ، لانه قد تفرغ اكثر
من سائر زملائه لمعالجة موضوع الادب واللغة ، فكان في ذلك كتابه
الشهير « القومال » الذي لا يزال حي الان - وسيظل الى الابد
طويل - دستوراً في النقد الادبي ، يقرأ منه ، ويستمد عليه ،
ويورد افكاره ومقاييسه واحكامه كل من يشتغل بالنقد
الادبي عند العرب .

ومن اقوال نعيمة التي لا بد من ذكرها هنا ، قطعة من
« مذكرات الارش » ، وهي قصة في مذكرات ، منشورة في
مجموعة الرابطة ، وفيها يقول نعيمة : « الماثلون - وهم قليلون -
يدركون ان ليس على وجه الارض لغة كاملة بتركيبتها ، كافية
لتأدية كل انفصالات النفس ، وتوججات العواطف والافكار . اما
الجاهلون - وهم كثيرون - فكلهم يدعي ان لغته هي الكمال
بيته ، فهو لا . فهو ورون وغراون . ان القصد من كل لغة هو
البيان : الافصاح عن فكار او حالة روحية او جسمية ، والتصد
من كل قاعدة لغوية هو رفع الالتباس ، والدقة في التعبير ، فكل

قاعدة لا ترفع اليأساً، ولا تساعد على دقة التعبير، هي سلسلة من حديد... الناس ينسون أن اللغة هبة أعطيت لهم من الله، وأنها كبقية الهبات الإلهية قد أعطيت لهم لا لتدفن، لا لتقيد بها ولا يلزم من القواعد والأصطلاحات، فتبقى هي هي من جيل إلى جيل، بل لتندو وتوسع، وتزداد جمالا بإزديادها ببساطة، فأوسع اللغات وأجلها إسطقا، وهي لغة الأفكار التي لا تربطها قاعدة، ولا يحصرها قانون، أما لغة الشفاء والاستشفاء فليصمد البشر بواسطته إلى لغة الأفكار، فابدهم عنها أكثرهم قواعد، فاقربهم من أسفل السلم، فاقربهم منها أقلهم قواعد وأدقهم تعبيرا».

ثم يبالغ نسيمة الموضوع مرة أخرى في «غرياله»، فيقول: «لا قيمة لرمز في ذاته، إنما قيمته مكتسبة بما يرمز إليه، لذلك فلا قيمة للغة نفسها، بل قيمتها فيما ترمز إليه من فكر وعاطفة. غير أنها ما دامت رمزا من الرموز التي تساعدنا على عبادة الأفكار والمواطف، فهي حرة بابتنائنا، لأجلاً بها، بل غيرة على الغاية الكبيرة التي نستعملها من أجلها. لكن حرصنا على اللغة، لا يجب أن ينسيتنا القصد من اللغة، فنجعل بنا أن تصرفهم عندنا إلى تهذيبها وتنسيقها لتكسبها دقة ووقفة، أنما قبيح بنا أن ننسى أو نتناسى كونها رمزا إلى ما هو أكبر، وما هو أسمى من ذلك أن نجسها وأفنى كاملة».

وبإشاد: «إن القصد من الأدب هو الإفصاح عن عوالم الحياة كما تشابها من أفكار وعواطف، واللغة ليست سوى وسيلة من وسائل كثيرة اهتمت إليها البشرية للإفصاح عن أفكارها وعواطفها».

ولم يكن الرياني أقل من زملائه اهتماماً بالنشأ اللغوية، وكان يرى رأيهم في أن الوسيلة الوحيدة لتنقية اللغة، إنما هي بتلقيحها بالأماني الكبيرة، والأفكار الواسعة الباقية، لا الاهتمام بألفاظها وحدها. ولذلك زاه في مقال له بعنوان «التجديد المزيف» ينهي على دعاء التجديد في مصر بالملازمة والتأنيب لأهم وقفوا في تجديدهم عند حدود تغيير بعض الألفاظ، ولم يسموا إلى الغاية بالأفكار والاماني والمواطف، فيقول: «والذي يقبضي أكثر من كل فجيعة أدبية، هو أنهم يحصرسون نظهم في ظاهرها، في هيكلها، في عظامها، ويظنون أن الميثاق القومي، والسيادة الوطنية، والعز، والمجد، والصوة، والاعتدال، تتوقف كلها على شيء من «حتى»، فالفضل في كينونتنا القومية هو لفظة جديدة بكشفوننا، أو لتعبر عربي مضري بمودود

إليه، والسب في عدم تنب القوة هو علة نحوية أو صرفية أغفلها، أو أن يقلطها من هم أكثر، مني علما في اللغة وآدابها. أما روح اللغة، وطريقة التعبير، وأسابير الكتاب الذي هو صورة الشخصية، والحرية الأدبية في اختيار الألفاظ بين الكلمات والسطور لمسائله وصيحاته، ودمعائه وضحكاته، وغزاته ولزاته، والاختراع في معالجة المواضيع القديمة ليطيها شيئا من الجديد... كل ذلك هو عندهم في الدرجة الثانية أو الثالثة من الأهمية إذا قيس بشيء من «حتى»^(١).

فهذه الماني تلخص لنا نظرة المهجرين - وعلى الأخص مهجري الشمال - إلى اللغة، وشوهرهم بالرسالة التي يبني عليها تأديتها إليها. فاللغة أداة عاجزة أن لم يكن هناك أفكار جديدة، ومسان جديدة، وأخيلة جديدة تدأب على تأديتها. وكل لغة لا تستحق الحياة إلا بمقدار مساهمة الماني الحية الحائلة، التي بدونها لا تكون القواميس والقواعد سوى عوامل للثبات، الأكيد،

قوة لكل عناصر الحياة.

ولذلك لم يكتف المهجرون بأن يوشدوا، ويوجهوا ويوعظوا، وإنما قوا إلى الحق أو الإبداع بنشاط جبار، يشد من مواهب اللغة، فيقولون: «لا بد من القول أحسن تطبيق، فأرنا في تاريخنا، نحن نتمتع بالحياة الدافقة، التي تهب كثيرا وتبقى على نضجها، ونحن نعلم بأننا الأدب العربي، لأنها من صميم الحياة والنفس البشرية، ولأنها تعبر صحيح صادق عن منازع الحياة، ومرامي الفكر الإنساني، يستهدف الحقيقة والجمال والحرية، ووسيلتهم في هذا هي البساطة في الأداء، لأن في البساطة جمالا لا يعرفه التعمق والنموض والتعقيد».

بهذه الروح الجديدة، وهذا التفاح الجديد من الماني وأفكار، التي خابها مهجرون في الأدب العربي، انعمت اللغة العربية، وأصبحت نشرة باعزاز كبير، إذ نجد لنا قدرة كل القدرة على المساهمة في تراث الإنسانية الأدبي الخالد. وهذا قدم المهجرون وسانتهم الأدبية إلى اللغة العربية بكل غيرة وإخلاص، كما أدوا رسالتهم إلى الحياة العامة.

كلمة مراسلنا - أفرس عيسى إبراهيم الناعوري

(١) وانظر أيضاً مقال بنوان: «روح اللغة» في الجزء الثالث من «الريانيات»، ففيه ذكر الرياني خلاصة رأيه في كيفية النبوض باللغة.

حسان الامومة



من اساطير القدماء



«ريح» ، ولقطع جذعي وياق في النار» . ثم أردت ثانية : «خذوا هذا الطفل الى مرضعة ولتأت به مرضته بين الفيتو والفيتو ترضعه تحت أفضائي النضرة» ، ولتدعه يرح في ظلي الظليل . وعندما يكبر ويصع قادراً على الكلام ، علموه ان يدعوني امداً وان يقول بلهجة الحزن : «ان امي مخفية تحت هذا اللحاء» .

ولكن حذروه من ضفاف الانهار ، وليعرف أي الازهار يتقطف وكيف يتقطف ، اذا كراً أنه من الممكن بأن تكون كل عليقة يراها الهة متحركة ، وداعاً أيها الزوج العزيز! وداعاً أيها الاب الحبيب ! وداعاً أيها الاخت الوفية! طليي الاخيرة اليكم - ان كان يترك كذلك - حي - أن لا تجوال الفأس تجرحني ، ولا قطمان الماشية تجزمني بأسانها الحادة . وبما أنني لا اقوى على الانحناء نحوكم ، تعالوا ودعوا حبكم ينهمر قبلاً على شفتي ! لا بل ارفعوا الي طفلي الحبيب لاصحه الى صديي واقلها القبة الاخيرة ! اراه اهدت لا اقوى على الكلام ، فسالها : «يا لعل ، ينطق حنجرتي» وكفت شفتاهما عن الحركة ، وخبت فيها جذوة الحياة .

القدماء نرسمه ماجهر فرجانه سعيد

عنه اهل المنطقة بعد ان فات الاوان عليه . فجمعت داريوبي في مكانها من شدة الروع الذي استبد بها عندما ادركت ما اقترفته يدها ، وكان يودعها لتسليم الابتعاد عن موضع الحادثة ، ولكنها . . . تسلمت من مكانها . ثم سرت اليوسة في كل

شعر الطفل باليوسة تقصير صدر له ، فانقطع عنه جريان حليبها ، فنظرت ايلي الى اختها بعرة لاشفاق ، غير أنها لم تكن تقوى على تخفيف صبا . فماتت الجذع النامي كالو كان تقدر على كبح سريان اليوسة . وفي تلك اللحظة ، أقبل زوج داريوبي مع أبيها . وعندما سالا عنها ، أشارت الاخت الى الحديقة الجديدة . فطافا جذع الشجرة وغرما أوراقها ببيض من القبل .

ولم يبق شيء من داريوبي غير وجهها . فانبهت السموع على أوراقها ثم قالت : « انني بريئة ، لا استوجب هذا القصاص ، اذ لم الحق الضرر بأحد قط ، وان كنت كاذبة في ما أدعي ، فلتصف بأوراقتي

لأت داريوبي Dryope سيدة جداً مولودها البكر . وفي ذات يوم انتهى المطاف بها وبأختها ايلي الى Iole الى ضفة جدول وقرقاق ينحدر من الصرود المكحلة بشجر الآس ، ويصب في البحر . فمقدتاً التية على جمع الازهار لتضفها منها الاكاييل وتريناها هياكل الحوريات . وكانت داريوبي حاملة رضيعها - ذلك الحمل الشين - على صدرها ترضعه وهي سائرة . وبالقرب من الماء ، كانت توجد نبتة حندقوق مثقلة بالازهار الارجوانية ، فجمعت داريوبي قليلاً منها وقدمتها لطفها ، وأوشكت اختها أن تصنع مثلها لولا انها رأت الدم يتدف من حيث كسرت اختها سويقاً للنتة . وكانت تلك النبتة الحورية لوتس Lotus التي تنكوت بتلك الهيئة عندما تقيها شخص لئيم . وبقي هذا سراً مكتوماً حتى كشف النقاب

مصير الانسان

فلم نقرر علم الله



نجد من حاجة تدعونا الى ان نتحدث من مصير هذا الكون الاكبر في ظن علمائه يعنيدي بحثنا عن مصير الانسان فيه او مستقبله التطوري ، فذلك بحث حتى اليوم يقوم على فرضية كهى في محيط التقدير العلمي وطاقة ادواته .

مستقبل الانسان التطوري

لم لم يتطور^(١) الانسان عضوياً خلال ... مروره ... التاريخ البشري ، وهل ان مصير ... هذه الفترة الباقية من الدهر سيكون تقدماً محضاً ؟ ... من حيث المبدأ من وجهة التطور الاجتماعي البحث ... من الاجابة عليها قبل الدخول في صميم الموضوع لا مشاحة في ان البشرية لم تحقق تقدماً عضوياً منذ الآلاف من السنين ، فالانسان لم يزل كما كان ولم يطرأ عليه اي تغيير عضوي بالرغم من ان كثيراً من الاتواع الحيوانية تعاقبت عليها تغييرات شتى فارتقى البعض منها وغمر البعض الآخر . وجدير بالباحث ان يتساءل عن السر في توقف تطور الانسان ؟ هذا اذا سلنا بصحة نظرية التطور . والآية في ذلك تنحصر في تطفل مفعول ناموسي الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب . فالانسان استطاع بفضل نظامه الاجتماعي الحد من نشاط قانون التناحر على البقاء فبا يتعلم للاكل والمشراب والجنس بشكله الحيواني القاسي الذي يهدف الى اسقاط الضيف وحفظ القوي والانسب وبالتالي ابقاء نسل من الاحياء يستحضر على احسن الميغرات العضوية ترددات تدرجاً في القوة فسلأ بعد نسل ولا شبهة في ان الانسانية لاضافة الى تطفله ناموسي الانتخاب الطبيعي

... مصادر البحث : D. H. Snowden, Is the World Growing Better ? Percival Sowell, The Evolution of the world Albert Bigelow Paine, The Superman.

والانتخاب الجنسي فانه عمل على القضاء على الاقوياء عن طريق الحروب المتعاقبة بينما حفظ الضعفاء عن طريق مختلف الوسائل والاساليب الاجتماعية والقانونية كما انه جمع لهم بالزواج والتناسل وبذلك سبب إيجاد اعقاب ضفاف . من الناحية العضوية يزداد ضعفها نسلأ بعد نسل . والحق اننا لا نحارب هنا فكرة الاحسان الاجتماعي او المبادئ الانسانية ولكننا نحاول بحث الموضوع من ناحية علمية موضوعية لاستكناها اسباب توقف تطور الانسان ومعرفة عوامل وجود قانون « اصطفاء الانسب » هذا الاصطفاء الذي لمس قيمته بعض علماء الحيوان والنبات فطبقوه على بعض الحيوانات كالحمام وعلى بعض الاجناس النباتية حتى استطاعوا ان يستحصلوا على اجناس وفصائل احسن وارقي من الوجهة التنشوية . والحق ان الوقت الذي سيعيشه الانسان بعد ، هو ترليونات من السنين وهو كاف لان يحل الانسان بتطور عضوي اذا دأى اسباب التطور وازال القيود التي فرضها النظام الاجتماعي على نواميس التشو .

مستقبل المدينة

من حيث مستقبل مدينتينا الحديثة فيقول الجيولوجي ديرانت دريك^(١) بانها بالقت فزورتها وانها اتخذت بالانحلال ... الانسان المدني احسن حالاً مما هو عليه ... بطور الاجتماعي كالتطور العضوي ليس من الختم ... بل من الجائر ان يجري وفق خط بياني ... المدنيات الثلاثة التي بلغت درجة عالية من حيث التطور لم تنشب ان زالت من الوجود . على ان الاستاذ دريك يستدرك الامر ويقول انه يحسن به قبل ان يطلق الحكم على رسله في مصير المدينة ان يعنى بتعليق اوجها وان يتعرف الى القوى التي تعمل في كل وجهه مقارنة بين قوى الخير والشر حتى يستطيع تلمس اتجاهها الصحيح . ولنبدأ معه في البحث بآدى ذي بدء في مقدار التقدم المادي في حضارتنا الحديثة فيقول ان الانسان ولا شك قد قطع شوطاً كبيراً في مضار التقدم المادي بحيث انه يسر على الباحث ان يقارن بين الحضارة المادية للحاضر والماضي بلون الشاسع بينهما . وهو يؤمن بانه ما من باحث المداينة اوجه الحضارة المادية الحديثة الا ويتسرب بعض الامل الى نفسه بان انسان المستقبل سيكون له حظ وافر من حيث وسائل الراحة والرفاهية ، على ان ذلك يتوقف في ظنه ، تنظيلاً ، على التقدم المعنوي . ولا خفاء ان الذكاء الانساني اصبح Durant Drakes, Invitation to Philosophy. (١)

من المساء الاخير

✱

كنت في القاعة وحدي ،

بينما الاشجار والحليوان ، والنجوم والظلال ،

وكل نيمة ماء كتصت لي ،

فقد كنت أحيلهم أنفاداً كي يسموا أنفسهم من ثاني ،

وأجمل الكل أصدقاء ، ولقداني ولي ، في حين رائم ،

لكن أهدأ في القاعة لم يأخذ الناي ، في كي ينفخ فيه لي ،

لهذا كنت في القاعة وحدي .

ذات مساء اقبلت في غابتي حسناء ،

فوجدتها أن تقني مع لمن ثاني ،

لكنها الطمعة واوقته ثم مضت من غابتي ،

ودعيت ، فمضت تاتي أحيل كل ما في الالة لحنا ،

ساعة تدمر قطرة او نسمة او قطعة من ظلام

فلا تسمع نفسها من ثاني ،

هذا هو حال في العادة وحدي

عندما لحضها من شرقة قصرها

ذهبت واشترت بكل ثروتي عقداً يتلأأ كالدموع ،

ثم مدت أقدامها لها عساني املك فرحة قبوله ،

لكن كان غداً جوهرة لم أنتبه لها منطقي . لوها قليلاً ،

فأهانتي واقلقت ياها في وجهي ، فقررت انتقامي .

وفي المساء تسللت الى قصرها المنيع ،

وهناك مررت بها نائمة قدأنتها هامسا أحبك ،

ثم جملت أسرق كنوزها ما بين يرأفة كالامل او ثقيلة كالحنن ،

ونظمتها مع لائي . عقدي بقية الليل في خيط لونه قان ،

وفي الصبح بعثت ما نظمتها على فقراء . مدينتها ، فأتممت انتقامي

اقل اثرأ من قوى الشر ، هذه القوى التي نشأت عن المطامع الفردية والدولية والتقدم المادي يتوقف ايضاً على توزيع منافع الحياة وبركانها وما اذا كانت سبقي مشتركة من قبل طبقات خاصة وايد قليلة ام انها ستوزع توزيعاً عادلاً بين افراد الناس .

ولا مراة في ان الحليف الاجتماعي الناشئ . عن عدم توزيع منافع الحياة توزيعاً عادلاً هو من مقومات اسباب الحروب والثورات التهديمية . ومن الحسن ان نرى احدى الدول الكبرى تجمع الى تحقيق المدالة الاجتماعية من حيث توزيع سلم الحياة ومنافع الطبيعة بين الافراد توزيعاً عادلاً ، على انه من المؤسف ان نقول ان نظامها لم يستطع مع ذلك الحيوية دون استئثار بعض الطبقات ببعض المنافع

ولم تقدمنا الفكري اذا تمكنا من تجنب الحروب يكون اسرع جرياً هذا التقدم الذي خطا خطوات واسعة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . فتقدم اساليب العلم وتضاول الامية وازدياد عدد الكتب والمجلات وانتشار البريد والهاتف والراديو هذه الاسباب كان لها اقوى الآثار في تقدم حياتنا الفكرية ولكن من المؤسف ان حرباً بسيطة تهدم كثيراً من منتجات الجهود الفكرية والآثار البشرية التي قامت خلال اجيال كثيرة ، وهي فضلاً عن انها تهدم مكتباتنا ومدارسنا فانها تذهب بالمثقفين بنسبة عالية

اما التقدم الفني او الاستاتيكي (اي بناء الجدران والاراق والجمال) فانه لم يساهم التقدم المادي كثيراً . فالجمال والالوان ملازمة . والواقع ان المدنية الحديثة لم تنرف (اي انظر) المتطلبات الفنية ولم تستج بعمق من حيث الجمال والفن ، ومع ذلك نرى ان الزخمة نحو الفن والجمال . ولما وان قلة الحصوة ناشئة عن عدم ترك مقدار كاف من المال والقوى للعمل لازدهارها .

ويبحث الاستاذ ديارك اغبراً في التقدم الادبي والروحي متساوياً اذا كان متحققاً بالفعل . وهو يعتقد ان التقدم الروحي يتوقف لتحقيقه بصورة عامة على غو الذكاء . البشري وتسلط النية الحسنة على توجهه ، وهو يقول ان هذا بدأ يظهر في افق مدينته الحديثة . اضف الى ذلك ان تمت اختبارات جديدة برغت في جو هذه المدنية كما انه حدث تطور جديد في مفهوم التسامع والتفاهم وان اكثر الافراد غدوا متحررين من الحرافات التي تلاوت حول الدين والمادات الاجتماعية الروحية ، ولهذا فان هنالك املا كبيراً بتغلب عنصري الذكاء . والنية الحسنة على مستقبل الانسان وتوجيهها لمدينته .

دس

الحامي مظهر علم الرب

القاهرة

يوسف اسحق الشاروني

ذات السيطرة

☆

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

١٩

كأروحه العدة في روضه
في بسطها تأسر أو قبضها
ها يعجز الساحر عن قبضها
سيكة تغفل عن قبضها
عن حبها تنجيها من قبضها
محبي الظل على قبضها
في صور تفتن في عرضها
تكاد أن تجحد في قبضها
سخره نابع في ركضها
في وكنها المش على قبضها
خلاصة كالمركب في وقضها
دوت الأوس في قبضها
لم تلك النفس سوى قوضها
ديت حذق ولم أفتنها

شفتي اللرب ، فارتفعت ، على اللرب ، مصغراً مصعباً بدمائي
كيف أميا ؟ يا اخت أمركي الليل يودب الصنيع في أعضائي
وتساويت ، مثلاً ، بالب ، قالتي يديه خيطي عناء

أنا ، يا اخت ، متعب ، متعب مثلك ، في حيرة ، وطول التواء
وبيني ، منا يمينيك ، من عمق مهاور ، بصدّة وانطفاء ،
فلتقي ، في الضياء ، في التيه ، في الآفات تدرى ، ورني أكفّ الهوا ،
وانكسار الاحلام ، في الفتنة الاولى ، ونعم الحياة الاشلاء .

٦. أي شيء . . . راحت ، سفع بحري ، ويذكر به روح عدائي ؟
 ٧. أبت الزنايق للشاح ، ولقيما الحريف ، والأبناء ا
 ٨. أروانا نصب . . . في الافق النائي ، ونفى . . . في خاطر الظلام . !

مهداة إلى الياس خليل زخريا

لعدد الملام غيرية السود

معمی

الآباء يا أكلونه الحصرم والابناء يضرسونه

بِطَنِّ الدُّكْنُورِ قَوْلًا فَبَاضَ

☆

من السياسة والديهاء. شباب متأقنون في ملابسهم يرتدون أحدث
الازياء ، على عيونهم نظارات مذهبة ومن شهورهم يفوح الطيب .
يجيدون الرقص والسمر والسباحة وركوب الخيل وامب الاكر
ومما شاكل . يكتفون من تقديم الهدايا والازهار ولا يخطون
بالاغاني والاناشيد والاشعار . يجذونك عن الكتب المعروفة
والقصص الجديدة وهم ابداء على استبداد لان يهدوا اليك . الى
آخر ما هنالك من سلسة طويلة الحلقات تكرر بين الدين الى ان
تدق الساعة الهيبة فتتم الفرحة الذهبية في الشرك المنسوب .

فقط قلبه فيما بعد لن يشاء. وعلى هذا الوجه ينتهز النسل ويحتل
لأنه إذا كان أولاد الحب من غير زواج ضحية للجموع وعاداته فإن
أولاد الزواج من دون حب يحملون شارة الضعف والاحطاط العصي.
فضلاً عن ذلك فإنزواج الذي تدفع إليه غايته أدبية بحجة تحمل
كلام من الرفيقين على إخفاء ميوبه من الآخر والتظاهر بأنه ليس فيه
فيدخلان الحياة الزوجية والظلمة من حوشها ثم تصطدم الإيمالات تحبي
التشاور عن الميوز وتأخذ مساوى. الواحد بالظهور للآخر وتعاقب
العماجات المسكدة بأن يحمل الحياة الزوجية جحياً.

تقریر فیاض

فن التزمك في الشعر القديم

فلم كمال البازي

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية



اكثر ما يجر نخاضنا في
احاديثنا الادبية عن الشعر العربي
العربي : حماسيات الجاهليين ،
وغزليات الاسلايين ، واهامي
الأمويين ، وخمرات المولدين ،
ومدائح الباسيين ، واكثر ما

يرد على السنتنا من اسماء اعلامه : امرؤ القيس ، وعمر
والاخطل ، وابو نواس ، والمتنبي ، ومن الهم .

وقد لا يتعدى المتداول من شعرهم ، قصائد قليلة . شاع
ان يختص بالشهرة ، ويبرزها بسمة الانتشار ، فالتلف المتوسط ،
والحالة هذه ، لا يعرف من شعراء العربية الا عدداً قليلاً ، ولا
يروي من آثارهم الا السواثر التي لاكتها الالسن وهضمتها الانواء .

ومن ثم يطوع « المتفرجون » من ادبنا ، من ادبنا ، من ادبنا ،
زاعمين انه غث مجلد ، لا يكسو من عري ولا يسن من جوع . . .

والحق ان شعراءنا العربي عزيز برجاله ، عزيز بآدبه ، وهو ذو
خط من عتق التفكير ، ومن عتق التفكير ، ومن عتق التفكير ،
التصور ، وعذوبة المعالجة ، ومن عتق التفكير ، ومن عتق التفكير ،

اربا لم تتحقق بعد الامل نسبي ، ومن عتق التفكير ، ومن عتق التفكير ،
في ، وسوانه الكبري ، وعاب افان . . .

الا بعد ان يجرحها الاخصائيون من مدافنها بالاختيار الجيد ، والشعر
الملي ، وبهالطوا بالاس الزهفي ، والخيال الحكيم ، ونسب
لا يكون عهدنا بذلك بعيداً . . .

وايست مشكلتنا الادبية الوحيدة هذا الاطلاع المحدود على
مصادر الادب ، بل هنالك مشكلة لا تقل عنها خطورة : هي ان
ادبنا قد نهجا - الى الآن - منجساً واحداً في الجاهلهم فلما
حادوا عنه : - يثبتون سيرة الاديب بما شاؤوا من ايجاز
واسباب ، ثم يلقونها بنخبه - من أكثره المشهورة تقصر حينا
وتطول حيناً آخر . . . حتى لقد غدا هذا الاسلوب السباق
التقليدي الذي لم يشذ عنه احد منهم الا في القليل النادر .

وغير خاف ان موضوع الدراسة الادبية الصحيحة انما هو
الادب مجسوعه : في مذاهبه واطواره ، وفنونه والوانه . لا آثار
المعلم الواحد من اعلامه ، ولا انتاج الصر المنفرد من صوره . . !
على ان الانصاف يحتم علينا الاقرار بان بوادر التحول قد اخذت تظهر في

الاجراء الادبية نذكر من دلائلها

كتاب « الفن ومذاهبه في الشعر
العربي » للاستاذ شوقي ضيف .

فقد حاول المؤلف في هذا السفر
القيم ان يحلل الفنون الشعرية على

اختلافها بالاستناد الى اختصاصها
ومزايها ، فشك بذلك طريقاً

جديدة في البحث الادبي الفني ،
وهو وان لم يلج بجميع الفنون فقد كفاء فضلاً انه السابق في هذا المضمار .

وهذه محاولة متواضعة في تحليل فن التزمك في الشعر العربي ،
لم نحجر التصدي له لانه اجل تلك الفنون واخطرها ، بل لانه لم

يحظ بمد من ابحاثها بنائية جديدة - على مسايتجلى فيه من توكد
الفتنة ، ودقة الملاحظة وخفة الروح ، وبراعة الاداء .

فن التزمك

ادبي يعبر بالوسط مناسب عن احساس ساخر
من التزك او التزك . وهو يقوم في الغالب ،

بجمعه بين متباينين ، او يفرق بين متشابهين ،
او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،

او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،
او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،

او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،
او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،

او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،
او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،

او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،
او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،

او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،
او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ، او يفرق ،

من اصول التزمك

ولئن كان النوع الاول من الهجاء المباشر الصريح قد طغى
على التزمك الفني ، بداعي احترام المحصومات الجديدة ، الا ان

التقليل الذي بقي لنا من ذلك التزمك ، جميل رائع ، فيه من
الخيال والبهاء والمباقة ما يجعله حرباً . . . به والدرس . وهذا -

واقع الامر - ما حدا بنا الى اقتحام هذا الموضوع الشق .
ولما لم يكن هذا البحث اكثر من محاولة بدائية في

الموضوع ، وكانت افانين الادباء المتكسبين لا تقع تحت حصر ،
اكتفيت بايراد بعض الاصول العامة التي تيسرنا في آثارهم واخلفت

تلك الأصول بما تيسر من الشاهد ، على انني لم اتقنع - في
 «طع التي انتبها - باستيفاء الشاهد فصب ، بل توخيت
 استحبال الصورة ابقاء على روعة اثر الادبي ، واكتفيت عند
 التحليل بالإشارة الى الشاهد المقصود .

وذلك ان يرضع ، في جو حافل بدلائل الجلال والعظمة ،
امر حبيب تائه : بحيث يترجمه القارى ، - لاول وهلة - ان امراً
شديد الخطورة على وشك الوقوع . قال المتنبي يصف معركة
اغار فيها رجلان على حرد :

فيه المعاونة بين الرجاءين توهم ان تجاهلها عدواً عنيداً
ويوهم ذكر السبب انه من الاشراف وما يرجع الاستدلال بأثر
العضة على وجود احدهما خلفه، فكأنه قد خشي ان يقابله وجأ
لوجه قائم من خلفه غداً واختلافاً وآثر ان يثاله نكشاً فظفري يذنه !
وهذا ابو نواس يصف رجلاً بلغ منه البخل ان من ربيعة

فإذا كان طرب هؤلاء المساكين رؤية الرغيف كطرب الصائم
لإذان المغرب فكم يبلغ أن تيسر لهم أن يتألفوا بأستانهم الصدقة!!
وهذا ملم آخر من آلام البخل يود أبو نواس أن يكون قد غفقه
منه بمثابة ولده : يشمه ويضمه ، ويدفع عنه عادية الجياع
المتضورين ! قال :

أصبحت أجوع خلقك أله كلهم
 حيز القفل مكتوب عليه : إلا
 فأنظر ما أجمع هذه « التعويذة » التي نقشها الشاعر على
 الخيل ... وهل توضع التماثيل إلا على أعز الأمور؟! ومن

رَأَيْتَ الْفَضْلَ مَكْتُوبًا يَتَأَنَّى لِمُهْرٍ وَالسَّكَا
فَاسْجِلْ دَمَهُ لِيَا رَأَيْتُ قَادِمًا ، وَبِكِي
ظِلًّا إِنْ حَلَفْتُ لَهُ بِأَنِّي صَاتِمٌ ضَعُفًا !

تحيي الشبه والمباينة

ولا بد في ذلك من تضمين نكتة بارعة تبرز منصر المقابلة
لان مجرد تحميم العيب ليس شيئاً من الفن . ولذلك عمد الشاعر في
الشواهد التالية الى وضع المشبه مكان المشبه به بحيث غدا العيب
لحم صفة لازمة مقروءة بهاته . قال ابو حشاش في تغليل :

ففي هذه الصيغة ما يصرف النظر عن الشك في انه جبل
ويجمل على التصديق بان الجبل قد عثي في الفضاء ، وان كان ذلك
قد امتنع فيما سلف ، فانه قد تحقق الآن في شخص هذا الثقل
ومن هذا التسلل ما قال ابن الرومي في «منه» قبيح الشكل

صوت بصر و ضرب في غراسان
في قبح قرد وفي استكبار اهوان

وقد حط العدد المذكور في الثابت قياساً لتناثر الإنشاد والغزف
وجعل النظم عزاءاً للطبوع في يده مندقة قطن، ثم وصفه بأعظم

وليعضهم في صاحب انفس كبير :

لَكَ اِنْفِ يَابْنَ حَرْبٍ
اَخَذْتُ مِنْهُ الْاَنْوْفَ
اِنَّ فِي الْقُدْسِ تَصْلِي
وَهُوَ فِي الْبَيْتِ يَطْوِفُ

فقد اختار ان يدل دلالة غير مباشرة على كره الانف
فجعل الرجل في القدس وانفه في مكة المكرمة !!

ومن خرو ما جاء في كتب الانوف قول ابن الرومي :

وإذا مضى كذا يومك
 فلا تفتن منك نفسه
 حق طعن الناس انك
 ان كان اتقك هكذا
 وإذا جاءت على الطريق
 قيل السلام عليك

هو لم يقع ما يصف الرجل في كبره الاثف مباشرة ، بل
اتخذت طرقاً فيه غير مباشرة ، فدل على ما اراد بانخفاض
الرأس ، وتوهم الناظر انه وانفه شخصان ، وباعتبار القيل - على

عظم خرطومه - افطس بالقياس اليه !!

من الشبه بالقرد الا لأن القرد اهل منه !!

وقد لا يكتفي المتهكم بان يشبه الخطيب بالوضع بل يعتمد الى
تفضيل الوضع على الخطيب يتجسم ما يترده من صفات قال ابن الرومي :
ودحك يا عمرو فيسه طول وفي وجهه للكلاب طول
مناج الكلب فيك طرأ يزول منها ولا تزل
وذبه اشيء صلتات حاصكها الله والرسول !!
فالكلاب واث وفيك عدد فقيرك عن قدره سفول
فهو بعد ان جمع بينها المقاييس مع الكلب يامرئ : الاول ان
زوال هذه المقاييس جائز بحق الكلب ممنوع بحق الرجل . والثاني
ان في الكلب من الفضائل ما هو مرقه عنه !

ابن بشار ياب ذابف

ويتم بان يشبه الشاعر الى صفة عامة هي في نفسها خطيرة
الشان . ثم يبين ان صلتها بالوصف الظاهري على نحو مكسوس ،
بحيث ينقلب التفریط الزائع الى هزل جالوح . مثال ذلك قول ابن
الرومي في صاحب انف كبير :

يا عمرو فخرأ ! لقد احببت . . . ليست امر ولا كانت لشعر
للناس قبل اسم الناس مالكة . . . عمرو قبل الله لا الناس
عليك مرحوم صدق لا فحيت به . . . (١)
و شئت كسبا به صادقت مكنتي . . . (٢)

فقد جالسه بالفخر ، وجعله امضى مكانه . . .
اقاضل رجال الدنيا ولكن بماذا يظن الذي . . .
الحقيظ انما هو احدى الفضائل الكبرى ، وذا هو . . .
كان الاولى ان لا يشتر به !! ومثل ذلك قوله في . . .
ومدح - لا عدمت فرقه . . . فانها قصصة من النعم
يطول يومي اذا قرنت به . . . كاتي صائم - ولم اسم
يفتح فاه من الجهاد ، كما . . . ينتج فناء اعظم الامم
نبرته عسة ، وهزته . . . مثل ميب التيوس في النعم
كاتي - طاول ما شاهده - . . . اشرب كاسي عزة عذمي

فالتوقع بعد قوله : « لا عدمت » . . . ذكر اللقا ، فماذا هو
الفراق المشئى او المنتظر بعد قوله : « يطول يومي » . . . ذكر
الفراق . . . فماذا هو اللقا ، المشؤوم !! فلاشك ان هذا التحويل
العكسي للمعنى بعد ذلك التحويل قد عزز عنصر التهكم الى ابد
حد . وله من هذا الضرب في حبيب قبيح :

حبيب اذاني الله يوم فراقه غويت وما ابصرت في حبه رشدي
رقت له من قبحه المحض رقة الانث له قلبي ففادت له ودي
رحه يطرف العين تبعه لما سودة كالشمس في الامين ازم
اذ لم تكن قردا غلبا حكاية وقبحه فلم تكمل لما سودة الفرد
فقد اشئى من حبيبه . . . الفراق ا ورق له . . . بداعي
القيح ا وجعله كالشمس . . . ولكن في العين الرمدا . !! ولم يترده

واساسه ان يبالغ في عيب المبهج الى حد يفندو مة جساتراً
ومحتماً ما كان في حقه تادراً مستبعداً . قال ابن الرومي في تجيل :
ينثر عيس على غشه وليس ياتي ولا خالده
فلو يتج - للتخيره - نفس من منخر واحد

فالبلط ان هو بلغ هذا الحد غدا غاية في نفسه ولثة في
ذاته ، فتجلى حتى لا يعود بنفم ما كالاقتصار على استخدام منخر
واحد ولعل هذا البغيل يؤثر نعمة الزكام بحيث يقتصد في استخدام
منخوره كلها !! وقال زياد الاعجم حاجياً الشكرين :

اذا يشكرني مس ثوبك ثوبه فلا تذكرن الله حتى تظهرنا
فلو ان من لوم ثوبت قبيلة اذا لامت اللوم لا شك يشكرا
فاللوم لا يمت فيا نعلم ، ولو نعل ، لكان الشكرين اول
ضعاياه لا ريب ا . . . ولا ابن الرومي في مضيف تجيل :

اكلت رغيفاً خلد عيس فاني وكان كهي من حب مغرب
يحب لمحبس العين من اكلاته وضيحي بطنه بطن مغرب
و . . . لا كسب . . .
قد . . . من بقل هذا المضيف - على شرهه - ان الى بذل
موت . . . غير مرة في حياته ، وكذلك ينصح الشاعر لمن كور زيادته
ب . . . وقال جرير في قوم شرهين :
بجان ، اصبح جهيم بجان
صعر الانوف اريج كل دخان
فلم ينظروا لانظرهم ، ينسجون رائحة الطعام من كل جهة ،
ويسعون اليه حيث كان !

حصول المتنوع
وهو ان يشبه المتهكم الى امر متنوع عقلاً ، فيجعل البامل في
حصوله فداحة عيب المبهج . قال ابو نواس :
امات الله من جوع رقائنا قولا لمجوع ما مات رقائنا
ولو اشمت موتاهم رغيفاً وقد سكنوا البور اذا لماتوا
قيام الاموات - في العالم الزاهن - امر متنوع . . . له
الا يمجع هؤلاء الطماع ان هم تقسموا رائحة الخبز . . . ومن هذا
القبيل قول ابن الرومي في صاحب لحية كثة :

ولحية يحملها مائق شبه الشرايين اذا اشروعها
لوقابل الريح بها مرة لم ينبعث من خطوره اصبعها
او غاص في البحر بها غوصة صاد بها حيتانه اجساما !
فاللحى لا تصد الريح . . . ولا تصيد الاسماك . . . فضلاً
عن الحيتان !! لكن المتنم بمحقا قد جاز بحق هذه اللحية وقيل
ابو نواس في « بارد » :

لي صاحب اقل من احد قريته - ما عاش - في جهده

الفضائل تؤكد نقائضها ، فكان بذلك بروز عنصر التهكم الجارح في تضاعيف المعاني المتذعة .

المرل في مرض الجد

وهو ان يذكر المتهكم للمعجوب عيباً جسيماً ، يخرج به اختراعاً وزيئاً ، يظن معه انه امر واقع ، كقول ابراهيم الصولي في

ولا رأيتك لا فاسلاً خاب ، ولا انت بازامد
وليس عدوك بالمتقي وليس صديقك بالخامد
... لك السوق - سوق ارقين ، فتاديت هل فيك من زائد
... في رجل واحد يزيد على درهم واحد
سوى رجل حان منه الشفاء وحلت به دعوة الزائد
فبتك منه بلا شاهد عاقبة ردك بالشاهد !

ففي هذا التخوف من رد المبدء ان هو يبيع بشاهد ، ما يؤكد انه يعتبر بيمينه بدهم صفقة رابحة ، وفي تحليل التبن اللاق بالشاري بانه عقاب على القوق واستجابة لدعوة الوالد ، ما يوهم ان القائل جاد لا هازل !!

ولان الرومي في صاحب مشون مستفيض

ان ايا قصص وعتونه قد اغرياني ببحوالي معاً
اقسمت ما استجد بشونه ان كان كذوفاً لي في رعه

ففي اعتبار المشون عدواً حر يعزل لحينه ويواجه فارساً لفارس ، ما يوضح الجدل على اهزل !! ولابحتر في رجل شره :

زار زارني ليسا من حسا لي كما يسأل الصديق الصديق
كيف حالني وقد غذا ابن جبر لي دون الاخوان جارا لصفيا
... الغذاء والشمس لم تنزع طلوعاً ، وز تجل شرقا
... اولية سكرحي الزباد يائي حيسا وتلقي دقية
ويد ما تزال ترمي ناحيا ر من انظم تجز المنتجة
صاح بامومه فغنا السادي صاح في حننه للطريق الطريفا
فاد جيم بالمسوان تغزمت واشفت ان يوت خيفاً !

فالفرع والاشفاق يوهم ان الوصف لم يمتد الامر الواقع !! ولان الرومي في مثل ذلك :

لكه كالصبر من دهره صكلاهما في شانه دائب
ذو مددة ثلبيها لاسى ونارة اذبيها صاغب
سكناً افروج في كنهه فريسة مرغها دارب
اقسمت ، لو ايك لاقية ، ناك من اخرامه نايب !

فهذا القسم يوهم ان الشاعر جاد فيا يقول لا هازل !! ولاني

نواس في ابي جعفر :

ابو جعفر رجل عالم يا صلح المدة الفاسدة
تخوف تحمة اضيافه مودهم اكلة واحدة

فتأمل حرص هذا الرجل على سلامة معد اضيافه او لا عيب فالمدة بيت الداء والحية خير دواء !!

استدرك الملح بالذم

وهو ان يستخرج المتهكم من صفة توه المدح ، وجهاً من الذم الجارح ، فيقول من هذا الانتقال المفاجيء عنصر التهكم ومثل ذلك ما قال ابن الرومي في جبان :

سليان مفسدة الملكية تاعلكه الله واستدركه
... ولكنه تلخ المركة

فمؤسد - لكن في قصره فحسب ! اما في المركة ومن هذا التليل قول لبي نواس في جارية قبيصة :

... يروح في ليلة الثلاثين
... لا تتركه ساء

وحسبها ، السن للوازين
... شبه شيء عيسد تين
... كاعا حلقة الحصان

والايات توه المدح ، الا انها في الاعجاز ومن الاقوال شهيرة في هذا الباب قول احدثهم في عهدنا :

يا له من حصل صانع يرفقه الله الى ... اصل !

وقول آخر في احديب

لا تطعن حذبة الظهر عيساً عبي في الحسن من صفات الهلال ! المعاء ، بترك المعاء ،

وقوامه الترفع عن الحصى ، وترك هجائه بمالعة في تحقيره . ومن شواهد ما قال ابن الرومي في الرد على هاجيه :

رفاك ! لا تسر لي ايل منة ولا تنجشم في حوك القصاد
لاني رايك الشيخ آدم كلتي متابيل في طلق منه واحد
فلا تحبني ، حسي من الحري ، اني واياك ، ضنتي ولادة والبدر

وقال في آخر

يا مستر الدار والتقص اعنت هازيك من الغصص
است الذي ليست لسواته ولا لنمى الله من عصي
معايب الناس وسواقهم قد جمعت منك في شخص

فقد امسك عن الرد على هاجيه لان عيوبه - شهرة وكثرة -

محيط كرة ومركزها . أي أن النظام الشمسي لم يكن إلا بقعة نعد في الفضاء .

وغني عن البيان أن بطليموس الإسكندري تجددى هذه الآراء في القرن الثاني ب . م . وغلب آراءه عليها . فقال أنه لو كانت الأرض تدور لتناثرت في الفضاء الأجسام التي في منطقتها الاستوائية . وخلص من ذلك إلى أنه لو صح رأي أرسطرخس في دوران الأرض لتبدت مادة الأرض هباء في الفضاء ، وهذا في رأيه من المضحكات . ون أقواله في هذا الصدد أنه لو صح أن الأرض تدور والقيت بحجر من عل ، لما وصل إلى هدفه لأن الأرض تجر كتها تبعد الهدف في أثناء السقوط . وظلت آراء بطليموس سائدة حتى منتصف القرن السادس عشر عندما ردها كوبرنيكوس بألمحة البنية . وليس هنا مجال للتبسط في هذه المعركة الحاسمة في تاريخ العلم .

وقد كان مصير آراء كوبرنيكوس خيراً من مصير آراء أرسطرخس . ذلك لأن الطباعة والمراقبة كانا قد استنبطا . فما انتفى ثلثا قرن على نشر كتاب كوبرنيكوس حتى أثبت غاليليو بالمراقبة أي للمشاهدة صفة أقوال هذا القس البولندي العالم . وقبل أن ينظر غاليليو من خلال مرآة إلى الفضاء بعشر سنوات ، كان جوردانو برونو يقول أن النجوم أجسام تشبه الأرض والقمر والسيارات ، وهو قول فيثاغوراس قبل ألفي سنة . وما انقضت عشر سنوات على مشاهدات غاليليو الأولى بقربه ، حتى كان كبير قد أذاع أنه بأن النجوم تشبه الشمس وهذا القول كان أول باعث حمل الناس على إدراك سعة الكون العظيمة . لأنه إذا كان اشراق النجوم شيئاً بإشراق الشمس فيجب أن تكون على إبعاد عظيمة عنا لكي تبدو

صغيرة كما تبدو . فنحن نتلقى ضوءاً من الشمس يفوق مائة ألف مليون ضعف ما نتلقاه من نجم من القدر الأول كالنسر الطائر أو يد الجوزاء أو الدبران . فإذا كانت هذه النجوم من مرتبة الشمس اشراقاً فيجب أن يفوق بعدها عنا ٣٢٠ ألف ضعف بُعد الشمس عنا . فإذا حولنا هذا القول إلى أسلوب الكلام العلمي الحديث قلنا أن نجوم القدر الأول يجب أن تبعد عنا على هذا القياس خمس سنوات ضوئية .

ونحن نعلم الآن أن هذا الأسلوب من البحث لا يفتني إلى نتائج دقيقة لأن القول بأن النجوم قائل الشمس اشراقاً بعيد من الحقيقة إذ منها ما يفوق الشمس عشرة آلاف ضعف ومنها ما لا يبلغ اشراقه جزءاً من ألف جزء من اشراقها . ولكن الأسلوب نفسه سالم إذا قلنا قد التقى في

من الواضح أن في الأماكن تقسم النجوم طوائف . فهي تختلف اشراقاً اختلافاً عظيماً ولكن النجوم التابعة لطائفة معينة تتشابه اشراقاً ، ولذلك يستطيع الباحث الفلكي أن ينفذ إلى بعد النجم برصد اشراقه البادي بالقياس إلى اشراق الطائفة التي ينسب إليها . وتقسيم طوائف النجوم ينفي عادة على دراسة طيورها .

خذ مثلاً على ذلك نجم الشرى البانية الذي يبدو لنا أكبر النجوم ضوءاً في الفضاء . هذا النجم ، من النجوم القريبة إلى الأرض ويمكن تعيين بعده بطريقة اختلاف الزاوية ، وهي الطريقة التي يستعملها المهندسون عند مسح الأرض لتعيين بعد جبل وذلك برصده من مكانين مختلفين بينهما ميل مثلاً أو

نصف ميل أو ميلان ثم يرسم مثلاً يستخرج منه بطريقة علم المثلثات بعد الجبل . والشئ في هذا القياس تبعد عنا ٥١ مليون أي ٨٦ سنة ضوئية . ثم يتخذ بعد الشئ مقياساً لبعد النجوم التي من طائفتها . فنجم من طائفتها يقل اشراقه البادي عنها ١٠٠ ضعف أبعد منها عنا عشرة أضعاف ، لأن قوة الضوء تقلل كربع المسافة .

ثم هناك النجوم المعروفة بالمتغيرات القيفاوية والاعتماد عليها في معرفة إبعاد النجوم أدق . وهذا الأسلوب من أهم المكتشفات الفلكية الحديثة ووصفه بإيجاز : من أنواع النجوم كذلك نسبة إلى نجم (ذلتا قيفاوس) . هذه النجوم يتغير اشراقها تغيراً دورياً فإذا تكون غسافية الغطاء تراها وقد أخذت تزداد اشراقاً ثم تأخذ بعد ذلك بالحدود حتى ترجع إلى حالها الأولى . وقد شبهها جينز بنسار الموقد الحامدة وقد التقى فيها قدر من النجم فاستحت حتى اشتد سحرها . والنضل في كشف هذه الطريقة الجديدة لقياس إبعاد النجوم يرجع إلى امريكية تدمي المس لفيت Leavitt . كانت هذه السيدة تشتغل في مرصد جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ ، وكان قد مضى عليها سنوات وهي تدرس الألواح المصورة لنوع مختلفة من السوآت بنية أن تكشف ما تطرأ عليه هذه الألواح من حقائق جديدة عن النجوم مفردة ومجمعة . وإذا كانت مكتبة على صورة لاحدى القنوات النجمية التي على حدود المجرة ، تبينت فيها شيئاً جديداً . ذلك أن طائفة من المتغيرات القيفاوية كانت قد ظهرت في تلك المجموعة النجمية . فلاح لها من دراسة الصورة أن المتغيرات القيفاوية

الكبيرة المشرقة كانت ابداً تتحرك من القيفاوية الضيقة الخافية . فالفترة التي تقضي بين خفاء القيفاويات الكبيرة ويبلغها ذروة اشراقها ثم رجوعها الى ما كانت عليه كانت اطول من فترة التغير في القيفاويات الصغيرة . فأشرت ذلك الحاضر وعهدت الى ما يجمع من الصور الضوئية للسمد الاخرى التي صورت منذ استعمل تلك الطريقة الفلكي داروير سنة ١٧٧٠ وخرجت من بحثها الدقيق المستفيض بأن طول فترة التغير متصلة صلة وثيقة بقوة الاشراق . فأعلنت هذه القاعدة الجديدة في علم الفلك .

ولكن الاشراق البادي لنجم من النجوم يختلف عن اشراقه الحقيقي . لأن ما يبدو من اشراق احد النجوم يتوقف على بعده . فقد يكون نجم عظيم الاشراق ولكنه عظيم البعد في الوقت نفسه فيدري الراصد الارضي نجماً غائراً . فإذا كان هنالك نجمان قيفاويان على بعد واحد من الارض وكانت فترة التغير في احدهما اقصر من فترة التغير في الثاني فالاول اقل اشراقاً من صاحبه . فلما وضعت هذه القاعدة هذا الوضع ظهرت فائدتها في قياس ابعاد النجوم ولنفرض ان لماننا نجسين قيفاويين فترة تغيرهما واحدة . ثم لنفرض ان اشراق احدهما البادي ينوب اشراق الاخر . اذ ضاع . فالنتيجة الحتمية التي نخرج منها - اذا صحت قاعدة المس لقيت - ان اقلها اشراقاً يجب ان يكون ابعد من الآخر عشرة اضعاف لان الضياء الصادر من جسم مضي . يقل كربع المسافة . ثم لنفرض ان احد هذين القيفاويين واقف في مجموعة من النجوم عرفت بعدها عن الارض . ففي هذه الحالة يمكن استخراج بعد الآخر

استخراجاً دقيقاً وكذلك تم للمعلم اسلوب جديد دبره مرع اعف .

ثم في شبلي وهين تطبق قاعدة المس لقيت على السدم . فاهتم شابلي اولاً بالبحث عن المتغيرات القيفاوية في القنوات الكروية . ليسكن من قياس بعد هذه القنوات بقياس بعد المتغيرات القيفاوية التي فيها . وبعد بحث رياضي دقيق استخرج طريقة سهلة تمكن الباحث من معرفة ابعاد هذه النجوم الحقيقية بدلاً من معرفة ابعادها النسبية واعتمد على هذه الطريقة في قياس بعد قنوقرقل فوجده ٣٦ الف سنة ضوئية . ثم اعتمد عليها في قياس ابعاد مائة من هذه القنوات فوجد ان بعدها وهو المرسوم N G C 1008 يبعد ٢٢٠ الف سنة ضوئية عن الارض .

اما قبل فصرّف عنايته الى قياس بعد الطريقة فوجده ١٠٠ الف سنة ضوئية . ثم في حوزة السديم NGC ٥٥ في طور الشلال فوجد ان في الاول متغيرات قيفاوية تبلغ الشرة او اكثر قليلاً وان فترة التغير في اشراقها تقابل فترة التغير في بعض القيفاويات التي في المجرة . فاستند الى قاعدة المس لقيت كما افروغا شابلي فتبين ان هذا السديم يبعد عنا ٩٠٠ الف سنة ضوئية . واذاً فهو خارج المجرة حشاً ثم التفت الى الثاني وبالطريقة نفسها اثبت انه يبعد عنا مليون سنة ضوئية .

وقد ظهر من بحث هيل واموانه ان اخفى السدم التي تليقها عين المرقب وتسلجها لوحة التصوير الضوئي الحساسة يبعد ٢٤٠ مليون سنة ضوئية . فلتحاول الآن ان ترسم صورة

للكون المنظور كما يرى لو كنا مشرفين عليه من بعيد . ولتجمل هذه الصورة كرة قطرها عشرون قدماً ، وكل بوصة فيها تمثل المسافة التي يجتازها الضوء في مليون سنة ضوئية . واذاً فمربعنا (قطرها نحو ١٠٠ الف سنة ضوئية) تمثل داخل هذه الكرة برأس ديلوس قطره عشر بوصة . اما النجوم التي ترى بالعين المجردة فتشغل داخل هذا الرأس كرة نصف قطرها ١ على ١٠٠ بوصة . اما شمسنا فلا تزيد على حجم كهيوب - على هذا التياس - واما الارض فلا تزيد على جزء من مليون جزء من الكهيوب . وليس ثمة ما يحملنا على الظن بأن كرة نصف قطرها ٢٤٠ مليون سنة ضوئية تشغل على الكون كله . وانما هي ذلك الجزء من الكون الذي نستطيع ان نراه مباشرة او بالواسطة ولا ريب في ان المرقب الكبير المنتظر البالغ قطر مرآته ٢٠٠ بوصة سيكشف لنا آفاقاً كونية جديدة وراء هذه الآفاق القصية .

واذاً فلا نستطيع ان نتمد على الرصد وحده في تقدير حجم الكون ، بل يجب الاستناد الى اساليب اخرى . وهذه الاساليب قائمة على قساعة من النظرية النسبية . ولكن الارصاد الفلكية ليست بكافية لبناء حكم صحيح عليها ، ولذلك يقول السر جيمز جيبز ان كل ما نستطيع ان نقوله ونحن واثقون بانقول ان ابعاد الكون اعظم جداً من مسافة ٢٤٠ مليون سنة ضوئية وهو يد ابعاد السدم التي نقيتها بأجهزة الرصد الحديث . لما مدى هذه الابعاد وهل هي الفامليون سنة ضوئية كما يقول بعضهم او عشرة آلاف سنة ضوئية ، كما

نقول البعض الآخر أو أكثر أو أقل فلا
يلك علماء العصر سنداً علمياً كافياً
للحكم فيه ..

تلفت الآن الى موضوع عمر الكون وهو موضوع يختلف في اراءه عن موضوع حجمه وسعته . وهناك طرائق مختلفة لتقدير هذا العمر ولكن ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعمال . وهي تقضي الى نتائج متضاربة . والسألة تدور في ابسط اشكالها على قدرتنا على ان نفذ بأساليبنا الضعيفة الى ما كان عليه الكون في الماضي السحيق . وليس بالبعيد ان تقل قدرتنا تقللنا في الماضي .

ان مرقد مرصد جبل ولس الكبير
 يمكننا من ثمين سدم تبعد عنا ٢٤٠ مليون
 سنة ضوئية ، فعندما يوجه المرصد الى هذه
 الاجرام الكونية نشاهد اما مباشرة
 واما واسطة ماكانت عليه قبل ٢٤٠ مليون
 سنة لان هذا الضوء الذي زاما به غادرها
 عندئذ مجتازا رحاب الفضاء . واذن م .
 الاجرام كانت موجودة قبل ٢٤٠ مليون
 سنة ولذلك يصح لنا ان نقول ان عمر
 الكون يزيد على ٢٤٠ مليون سنة . ثم ان
 هذه الاجرام القصية لا تختلف في اركانها
 واورصافها الاساسية عن اجزاء اخرى من
 الكون اقرب اليها منها . واذن يصح ان
 نستنتج من هذا ان الكون لم يصب تغير
 عظيم في اثناء ٢٤٠ مليون سنة . اي ان
 هذه المدة ليست الا فترة قصيرة في حياة
 الكون ونشروته . واذن فممر الكون
 يجب ان يكون اضاف ٢٤٠ مليون سنة
 ودراسة الارض من ناحية عمرها تؤيد هذا
 الرأي . ففي وسع العلماء ان يترصدوا
 بقواعد علم الجيولوجيا ليتصدروا ما كانت
 عليه الارض من ٢٤٠ مليون سنة فجدوا

إنها لم تكن تختلف كثيراً عما هي عليه اليوم . وهذا لا يبين فقط أن عمر الأرض يزيد على ٢٩٠ مليون سنة بل يبين كذلك أن الشمس لم تتغير كثيراً خلال تلك المدة . ولذلك لا بد أن يكون عمر الشمس وكذلك هو الكون الذي هي إحدى نجومه ، أضاف ٢٢٠ مليون سنة . وإذا حأت الصخور المحيطة على مواد مشعة عرف العلماء المدة التي انقضت منذ تجمدت تلك الصخور وقد بينوا هذه الطريقة أن أقدم الصخور التي درست على هذه الطريقة ، يتدأ تاريخ تجمدها إلى ١٧٠٠ مليون سنة ولذلك أصبح أن نقول أن عمر الكون على الأقل ١٧٠٠ مليون سنة .

وهناك وسيلة أخرى نستطيع أن
نستخدمها لقياس سرعة تمدد الكون
فإذا أخذنا سرعة تمدد الكون في
الآن (السرعة التي يبتعد بها المجرة
عن الأرض) وقسمناها على المسافة
بيننا وبين المجرة، فإننا نحصل على
السرعة التي يبتعد بها الكون عن
الأرض لكل وحدة مسافة. وهذا هو
المعدل الذي يبتعد به الكون عن الأرض
لكل وحدة مسافة. وهذا هو المعدل
الذي يبتعد به الكون عن الأرض لكل
وحدة مسافة. وهذا هو المعدل الذي
يبتعد به الكون عن الأرض لكل وحدة
مسافة. وهذا هو المعدل الذي يبتعد
به الكون عن الأرض لكل وحدة مسافة.

الا ان نظرية النسبية تذهب الى ان
لكون لا يمكن ان يعضى في نفسه بمعدل
واحد من السرعة بل في الرسم القول بناء

على بعض قواعد النسبية ، أن السرعة
تزداد بنسبة هندسية ، ولذلك يقال إن إبعاد
الكون تتضاعف بعد ١٤٠٠ مليون سنة
على هذا الأساس . وهذا يعني أن إبعاد
الكون كانت من ١٤٠٠ مليون سنة نصف
ما هي عليه الآن ، وإنما كانت قبل ٢٨٠٠
مليون سنة ربع ما هي عليه الآن . إلا أننا
لا نستطيع أن نؤكد في الزمن على هذا
المثال إلى ما لا نهاية له حتى يصحح الكون
نقطة مستقرة قبل أن بدأت تتدد ويقول
جيم أن عمليات رياضية معقدة نحمله على
الافتقاد بأن التدد الكوني لم يبدأ قبل
١٠ الف مليون سنة في الغالب . ولكن
الرقم المذكور ليس إلا رقماً تقريبياً ولا
يعتمد عليه . وليس فيه دليل حاسم على
عر الكون . وذلك لأن عمليات رياضية
أخرى تشير إلى أنه من المحتمل أن تكون
فترة من التصلص الكوني قد سبقت فترة
التدد التي نشهدها الآن .

ثم هناك فكرة جديدة قد يكون لها الأثر في دراسة عو الكون كائن (المتغيرات المتفاوتة) في دراسة ابعاده . وهذه الفكرة تقوم على مبدأ (توزع الطاقة المتبادل) بين النرات في التآوا بين النجوم في السماء . وهذا ووضع في حاجة الى مقال قائم بنفسه لسطه .

ولكن لا بد من إنجازها. فالإنجاز
في ذرات غاز ما إلى أن تنحصر الذرات التي
فيها طاقة تفوق طاقة غيرها وأن تكسب
هذا ما فقدته تلك حتى يصل الغاز إلى
حالة من توزع الطاقة المتبادل فيصبح من
هذه الناحية في حالة استقرار. والغالب أن
يتبع هذا التوزع عن طريق الاصطدام بين
الذرات. ولكن المسافات الشاسعة بين
جواك الهواء تجعل تحول دون حدوث

إيمان

لأول مرة تقرأ لمحمد

✱

يا من سمته ولم يسكني ،
كذبت نفسي لقلبك ،
فسقم جسدي

مسكين هو الذي يسجد

صمت نداءك

وكانت نفسي

تسبحك

✱

ناديتني ، فسمعتُ نداءك ،
ويايت وقرأ أصابي .
أنا لم أزل أمشي ،
أسمع حفيف الشجر
وغنمات الجن
وذخدرات السحر .

« شئتُ في الطريق ،
أمامي طريق يتسلق ،
مررتُ بشاطئ البحر
رأيتك تنطوي في الزبد ،
إلى الأبد . .

صمت صوتك يصطبغ ،
في موجة غب موجة ،

أنا من تراب سكيتي
أنا نفخة منك
تقبضتُ من روحك
ألم تسمعي ؟ ؟

هبت شاعري
ورقصت شياطين شعري :
طوباً وطوباً

تذكرتُ هدأة الليل :
في القلق ،

فصوت قيثارتني

توف ليسمي السقم :
نفساً ممتعة .

رحتُ إلى المحراب
لأنم من روحك كافرأ ،
فصرخ المؤذن في وجهي ،
فركت قدتي ،
وموت على أعقائي لا أروي .

في المحراب . . يا ادبي أضي :
لم أجبت ،
فأين أنت ؟ ؟

ممكنة بالحساب وهو يدل على انما فقدته من وزنها خلال ذلك ليس الا ٦ في المائة من كتلتها . ولذلك كانت اعظم اشرافاً عما هي الآن وكانت تشع كل دقيقة ٣٠٠ مليون طن في الدقيقة بدلاً من ٢٠٠ مليوناً . فبعد تصحيح الحساب يتبين ان الشمس حيثئذ كانت تغرق ما هي عليه الآن كتلة واشرافاً . وقد كان من المتعذر من سنوات ان تصدق ان الشمس تستطيع ان تولد طاقتها بلاشاة مادتها . ولكن علماء الطبيعة كشفوا خلال هذه السنوات الكهيب الموجب (البوزترون) في العمل . وهذا عمل الباحثين على الاعتقاد بأن تحول المادة إلى اشعاع عمل قائم في المادة الأرضية علاوة على تحول طاقة الاشعاع إلى مادة . وما زلنا قد توصلنا إلى معرفة مصدر للطاقة كذا المصدر فليس ثمة اعتراض على عد عمر النجوم بلايين الملايين من السنين .

عبد الحلي عبد الرحمن

بضاد

اصطدامات طافية لتحقيق هذا التوزع ولذلك فهو يستد إلى التفاعل التجاذبي بين النجوم . والمُشاهد من رصد النجوم أنها على اختلاف كتلتها وسرعتها ، تكاد تكون بلمت حالة من التكافؤ في توزع الطاقة بينها ، واذن فحساب عمر النجوم قائم على طول المدة التي لا بد منها قوى التفاعل التجاذبي لكي تحول النجوم من تبائن عظيم بينها في مقادير طاقتها إلى حالة قريبة من التوزع المتكافؤ . وللمتبادل والنتيجة التي يخرجها العلماء من هذا البحث ان عمر الكون من رتبة خمسة ملايين مليون إلى عشرة ملايين مليون سنة فما كانت حالة الكون من خمسة ملايين مليون سنة ؟ ان الملاحظة والرصد في بعدنا يدلان على ان الشمس تشع من الطاقة ما متوسطه ٢٥٠ طن في الدقيقة . فقد كانت ترن اس في الساعة السابعة صباحاً - وهي ساعة كتابة هذه السطور - ٣٦٠ ألف مليون طن أكثر مما ترن الآن . فمن مليون مليون سنة كان وزنها يفوق وزنها الان كثيراً ومعرفة الفرق

المظهر الاول

المكان : جنة عدن آدم يقطع ساق شجرة حواء نالقة .

حواء : (تقيظ فزعة) آدم ! آدم !
آدم : نعم يا روح آدم، وقلبه ، و...
حواء : دمك من هذا الآن . لقد حلت حلماً مزعجياً .

آدم : الحمد لله الذي هو حلم . ولكن ماذا حلت ؟

حواء : لقد حلت اننا طردنا من الفردوس .

آدم : (ضاحكاً) كفى لنا الله شر ديك . ثم

حواء : ثم اخرجنا الى صحراء وحشة ، واذا انهار من الدم . وسيل وعرة ، وأشواك قاسية .

آدم : الحق انك تفتنّين بالاحلام . ثم

حواء : ولكن اسوأ من كل هذا اننا فقدنا المعرفة التي كانت جزءاً منا .

فاذا بنا لا ندرى من أين أتينا ، ولا الى أين المتشئ . واختلطت المقاصد والغايات أمام أعيننا ، وضلنا السبل ، فاذا بنا نتخبط في ممالك ، وعرة مخارجه .

آدم : فقدنا المعرفة . مخيف . ولكن كيف فض المشكل في مأساتك الليلية .

حواء : بأنسا اغشنا نهبى أنفسنا بإعادة حل الغلاسم ، واذا هذا يجد نفسه يصعب غاية .

آدم : جميل

حواء : لا تسخر مني . فهذا ليس نهاية الشقاء .

آدم : وماذا نهاية الشقاء .

حواء : بأن هنالك نهاية . شيئاً يسمى الموت . ولكن الترويب اننا عندما

متنا انا وأنت ، كان هنالك آدميون صغار ، وحواءات صغيرات . لهم جميعاً نفس صفاتنا ورغباتنا واخطائنا ، ولم يكن الزمن ثابتاً واسماً ، لا نهائياً ، ولكنه كان دولاباً يدور ، واذا بهؤلاء قد صرعوا وحل مكائهم جبل جديد يتصفقون بنفس الصفات والميزات ، ومن هؤلاء خرج جيل جديد ، وهكذا ، وكان دوران دولاب الزمن يسجل لهم (عمرأ) .

آدم : (بهبه ضاحكاً) آدميون صغار ، وحواءات صغيرات . يا لك من ركب غامض ، فاية احلام غريبة يتفتق عنها ذنك هذا . . آدميون صغار ، وحواءات صغيرات

آدم : (بهبه ضاحكاً) كفى لنا الله شر ديك . ثم

حواء : ثم اخرجنا الى صحراء وحشة ، واذا انهار من الدم . وسيل وعرة ، وأشواك قاسية .

آدم : الحق انك تفتنّين بالاحلام . ثم

حواء : ولكن اسوأ من كل هذا اننا فقدنا المعرفة التي كانت جزءاً منا .

فاذا بنا لا ندرى من أين أتينا ، ولا الى أين المتشئ . واختلطت المقاصد والغايات أمام أعيننا ، وضلنا السبل ، فاذا بنا نتخبط في ممالك ، وعرة مخارجه .

آدم : فقدنا المعرفة . مخيف . ولكن كيف فض المشكل في مأساتك الليلية .

حواء : بأنسا اغشنا نهبى أنفسنا بإعادة حل الغلاسم ، واذا هذا يجد نفسه يصعب غاية .

آدم : جميل

حواء : لا تسخر مني . فهذا ليس نهاية الشقاء .

آدم : وماذا نهاية الشقاء .

حواء : بأن هنالك نهاية . شيئاً يسمى الموت . ولكن الترويب اننا عندما

متنا انا وأنت ، كان هنالك آدميون صغار ، وحواءات صغيرات . لهم جميعاً نفس صفاتنا ورغباتنا واخطائنا ، ولم يكن الزمن ثابتاً واسماً ، لا نهائياً ، ولكنه كان دولاباً يدور ، واذا بهؤلاء قد صرعوا وحل مكائهم جبل جديد يتصفقون بنفس الصفات والميزات ، ومن هؤلاء خرج جيل جديد ، وهكذا ، وكان دوران دولاب الزمن يسجل لهم (عمرأ) .

آدم : (بهبه ضاحكاً) آدميون صغار ، وحواءات صغيرات . يا لك من ركب غامض ، فاية احلام غريبة يتفتق عنها ذنك هذا . . آدميون صغار ، وحواءات صغيرات

الى اشياء قبيحة ، كهذه الشياطين الداهية التي كرسهم الارض وتسمى في زوايا جنتنا (آدم يترك الشجرة ويتقدم من حواء)

آدم : حواء . هذا ليس حلماً . هذه رؤيا . ولكن الاطفال ان هذه هي حقيقة الحياة ، اي انه هكذا يجب ان تكون الحياة . ولكن أتى يحدث مثل هذا .

حواء : تنهض وهي تحرق بالافق البعيد ، وتهب أنفاس تداعب شعرها الاسود الطويل .

حواء : (دككتا تحدث نفسها) نعم ! ما قيمة المعرفة الجاهزة ، وما قيمة الحميم دون ان يكون وليد الارادة . كل شيء معروف لنا ، البحر ، النجوم . . اسرار الحياة . ولكن دون اي مجهود .

آدم : (بهد لخطات) الى اين ترغيبين الذهاب اليوم ؟

حواء : الى ذلك النجم الذي ظهر في الليلة الماضية .

آدم : هيا بنا . حواء سوا ؟

آدم : طبعاً . حواء : اريد ان اجرب الوحدة .

آدم : انها قاسية موة ، تشعر المرء بأنه ناقص ، بأنه قد أضاع شيئاً . لقد جربتها حواء : ولكي احب أن اجرب هذه الحقة . فانا اشعر بأن المرء يكون كاملاً ، في غمرة من الفيض والالهام وهو في احضان الوحدة الصامتة الساحرة .

آدم : ولكن لن امح لك بالذهاب . حواء : الله ا من جعلك حاكماً على .

آدم : أنت ضلماً بي . حواء : أنت مخطئ . . في ضلع منك .

آدم : هذا تشويه للعقائد . حواء : بل هذا هو صلب الواقع .

آدم : ولكن لن امح لك بالذهاب . حواء : الله ا من جعلك حاكماً على .

آدم : أنت مخطئ . . في ضلع منك . حواء : هذا تشويه للعقائد .

آدم : بل هذا هو صلب الواقع . حواء : بل هذا هو صلب الواقع .

آدم : ولكن لن امح لك بالذهاب . حواء : الله ا من جعلك حاكماً على .

آدم : أنت مخطئ . . في ضلع منك . حواء : هذا تشويه للعقائد .

آدم : بل هذا هو صلب الواقع . حواء : بل هذا هو صلب الواقع .

حواء الاخيرة

آدم : (بهبه ضاحكاً) كفى لنا الله شر ديك . ثم

حواء : ثم اخرجنا الى صحراء وحشة ، واذا انهار من الدم . وسيل وعرة ، وأشواك قاسية .

آدم : الحق انك تفتنّين بالاحلام . ثم

حواء : ولكن اسوأ من كل هذا اننا فقدنا المعرفة التي كانت جزءاً منا .

فاذا بنا لا ندرى من أين أتينا ، ولا الى أين المتشئ . واختلطت المقاصد والغايات أمام أعيننا ، وضلنا السبل ، فاذا بنا نتخبط في ممالك ، وعرة مخارجه .

آدم : فقدنا المعرفة . مخيف . ولكن كيف فض المشكل في مأساتك الليلية .

حواء : بأنسا اغشنا نهبى أنفسنا بإعادة حل الغلاسم ، واذا هذا يجد نفسه يصعب غاية .

آدم : جميل

حواء : لا تسخر مني . فهذا ليس نهاية الشقاء .

آدم : وماذا نهاية الشقاء .

حواء : بأن هنالك نهاية . شيئاً يسمى الموت . ولكن الترويب اننا عندما

وعلى كل حال ، يجب الا يقلقك ذهاني ،
لاني سأعود سريعاً . وداعاً .

آدم : وداعاً . (حواء تمضي)

آدم (لنفسه) لقد بدأت حواء تحمل حياة
الجنة ، يا الهي ! ما هذه الكتابة الخريبة التي
تجمل على المكان ، انما كنتك التي كانت
تسيطر على الجنة قبل أن تحمل فيها حواء .
ها هي الاشجار تنكس اغصانها ، والطيور
تلبأ الى اوكارها وقد زهدت في الفناء ،
وكذلك الازهار انها تبدو شاحبة ساهمة ،
وكانت من قبل بية مشرقة .

يجلس آدم . ثم يسبح صوتاً لطيفاً ، يلتفت
الى مصدر الصوت .

الملوك : آدم ! ما لك سامح حزين . أين حواء .

آدم : لقد ذهبت تكتشف .

الملوك : وهل انت سعيد مع هذا
المخلوق الجبل .

آدم : نعم . ولكن هي لا تستقر
ولا تبدأ . ثم هي تفكر .

الملوك : وهل كنت تحبها ان
تكون عذبة التفكير .

آدم : نعم .

الملوك : ولماذا ؟

آدم : لان التفكير يجعلها مخلوقاً
صعب القيادة ، يميل الى الاستقلال .

الملوك : ولكن جميع المخلوقات
تخضعك على هذا مخلوق الجبل ، الذي وهبه

الله حسن المنظر ، وجاد عليه بأسمى النعم .
زعمة التفكير . ولكن أين ذهبت حواء .

آدم : (ينفذ فجأة) الى أين . لمست
أدري . لقد ذكرت أنها ستذهب الى النجم

الذي ظهر فجأة ، ولكني لم انتبه الى أي النجوم
ظهر فجأة . يجب ان اذهب لاقبض عنها .

(يبرح آدم)

(الملوك لنفسه) الظاهر ان الانسان

سيكون اقصر المخلوقات . وحواء هذه
سيكون لها شأن كبير . لقد التقي احد
الملائكة اثنا صنها كية كبيرة من النار .

(يلعب الملوك وتوسع دفرقة اجتمعته
فوق اشجار القردوس)

بسرل السار

بعد ملايين الملايين من السنين نظراً على
الارض تغيرات طبيعية تجعلها غير صالحة لسكن
الجنس البشري ، ويكون الانسان قد حل
كثيراً من الناز الطبيعة ، وتوصل الى معرفة
اسرارها ولكن حالة الارض لا تكتسه من
الحياة فيفترض ، ولا يبقى الا آدم واحد ،
وحواء واحدة وماها وقد اعترما الرجل الى
احدى النجوم ليجربا صلاحية الحياة فيها .

المنظر الثاني

.. : لقد دنت النهاية .

حواء : (تنفذ الى الخارج)

ابواب حياة جديدة

آدم : يا حواء ، اني اريد ان
تتبعي الى النجوم

حواء : يا آدم ، اريد ان
أبقى معك . والله انني ابدي .

آدم : ليشا اعرضنا مع الجميع
وفي وطننا هذا . . الارض .

حواء : عينا ان تمثل دور الرواد .

آدم : مهمة شاقة . . . مثولية كبيرة
فأنا اشك بمسألة الجاذبية ، وان كانت كية

الحرارة ستساونا . (يلتفت الى حواء)
لقد مر بيالي خاطر . . . اتظنين ان آدم

وحواء الاولين ، كان بإمكانها ان يؤمنا
بإمكانية استمرار الحياة بعد خروجهم من

الجنة ، وعلى نحو لم يأتاه هناك .
حواء : قولك هذا يذكرني بجم الليلة

آدم : وماذا حملت .

حواء : لقد حملت اني واياك كنا
واقفين في جنة . فإذا برجل وامرأة يخرجان

من بين الاشجار وكان منظرهما غريباً جداً
واقرب الرجل منك ، واقتربت المرأة مني ،
وحقد كل منهما بي وبك ، ثم قال لك
الرجل « اولست انت لنا » وقالت للمرأة
« اولست انت لنا » والتفتت المرأة الى
الرجل وهي تقول له . ألم اقل لك اننا كنا
دائماً في الدم وفي الوجود . ألم احدثك عن
الآدميين والحواءات ، وعن عبيبة الحياة
الجديدة . انظر الى هذه الطريق البعيدة ،
واشارت بيدها نحو الافق . ألا تبصرت آثار
الصراع الذي حدثتلك عنه ، وآثار الجهود
التي بذلت في سبيل حل اللباس . كل
ذلك قبل ان نخرجنا من القردوس وقبل
ان نرى مجلدنا اننا سنخرج يوماً من القردوس

واجاب الرجل اذكر انك حدثتي
بكل هذا في اليوم الذي طردت فيه الى
النجم تكتشفين ، ولكنك حتى الآن
لا تعجبيني ماذا وجدت في ذلك النجم
وشرق وجه المرأة عندها وهي تجيب .
« عظيم . عالم جديد ، الافق ليس كذلك
الذي افناه ، ولا الانوار ، ولا المياه . الألوان
ليست كذلك التي في جنتنا . هنالك بلور
وزبرجد . هنالك فضاء لا نهاية له . هنالك
أقمار تتلأأ ، اقارب كبيرة مشعشة ، وبحار
خضية اللون ، تسبح فيها الملائكة ، وعندها
دوعي الحلم جداً ، فاستيقظت ، فإذا بك
لا تزال ساهراً ، مشغولاً بصيانتك الحسائية
وبالصاروخ الذي سينقلنا الى العالم الجديد
آدم : (دون ان يرم عينه من إدراكه)
يا لهذه الوسيلة الرائعة في الاعراض ، تغليظها
على لسان حواء الاولى . حواء الاولى
تكتشف النجم الذي نسمي للوصول اليه
الآن ونجده جيلاً رائماً كل ذلك ، حتى قبل
ان تخرج آدم الاول من الجنة .

حواء : انت لا تصدقني .

آدم : لست اعني اني لا اصدقك
ولكن اغبطك لانك تستعبدني ان تخاطني
ملاذاً من الخيال في هذه الفترة من القلق
البالغ . اما انا فقد اصبت بمجموعة من
العمليات الحسية . انت تخيلين بالجنان
الوراثات ، والملائكة التي تسبح في البحار
النهبية ، واما انا ففي يدي سلاسل وقيود
من الارقام وموالييد الارقام تحول دوني
ونعمة الانطلاق .
حواء : لقد فقدت الايمان .

آدم : هذا هو عين الحقيقة . ففكرة
الهدم والبناء ، لغير غاية هي التي تسيطر على
نفسي الآن . ولكن لقد ذكرت من
لحظات شيئاً عن الفكر الانساني ، ادخل
على نفسي قبساً من النور . انه افضل على
كل حال من حلك الاخرج هذا .

حواء : حلي ليس اخرج ، وسأذكرك
به عندما يتحقق ، كما ذكرت حواء . آدم
بتفاصيل حلها عندما اتخذت الحياة هذا
الشكل وهذه الالوان .

آدم : ولكن ماذا قلت عن الفكر
الانساني .

حواء : لقد حاولت ان اقول انه اعمى
ما في الوجود ، لانه الجاهز الوحيد الذي
يدرك وحدة الوجود ، وهو الذي يربط
العالم ببعضها ، ويحمل للحياة قياً وموازن
ومقدرات . ان في الفكر الانساني تحمياً
النجوم العظيمة ، الفضاء الواسع ، والبحار
الأخيرة الى آلاف الصور والمحسوسات ،
ما فيها من حركة ولون وشكل ، ونحن
علينا ان نحافظ على هذه القوة العظيمة التي
تستطيع ان تنطلق الى مظاهر الوجود ،
وتتفاعل معها وتأثر بها ، وتأثر فيها .

آدم : اثباتك لا بأس بها ، بشأن
قيمة الفكر الانساني .

والآن كل شيء جاهز ماذا بقي لنا
من الطعام .

حواء : لقد استطينا ان نحفظ
بكمية من الموز والككاكو والحليب ،
وجوز الهند ، والحضار .
آدم : اذن . هيا بنا .

حواء : نستظر قليلاً لقد خارت شيت
آدم : ماذا عيالت
حواء : قفاحة .

آدم : ستجرب عليه الزيولت
حواء : بل هي رمز حياة جديدة .
آدم : خاتمة ست .
حواء : أنا .

آدم : اؤمنه اننا سنجي في اللحم
احسن .

آدم : وبي .
حواء : لا .
آدم : لي .
حواء : لي .
آدم : لي .

حواء : ان نصل الى هناك ان لم
نكن اصحاب رسالة .

آدم : انت متفائلة جداً .
حواء : ان لم تكن متفائلاً ،
فلا افضل ان نبقى هنا ، فنحسن عندها
سنكون كجنود يقتحمون المعركة دون
اي سلاح .

آدم : قلت لك ان خيالك اقن من علمي
حواء : الخيال واللم صفتان من
صفات العقل البشري . ولكن هاهي
ثلاثة هائلة ترجف تحوتنا .

آدم : من سيدخل الصاروخ أولاً .
حواء : انا ، ففوا . كانت اول من خرج
من القودوس ولكن اؤمن انت بأني وياك

سنسجل بداية دورة جديدة في تاريخ
الجميع البشري .

آدم : لاشك ان يثل هذا الكلام
اخرجت حواء . آدم من الجنة ، مؤمن ؟
نعم ! ايمان اسمه منك يتودني في
المسالك الوعرة . كذلك المسالك الدانية
الشائكة التي عاش فيها البشر اجموعن صلي
الى الله ليخيل خيالك نورا مشرقا .

حواء : ويحمل ارقامك صحيحة ،
لانزل في مرات لا اخرج منها .

آدم : وآلان ماذا نودع الارض .
حواء : بأن نقول لها . وداعا ايها
الزؤوم . لاننا لن نلتقي بعد ، فافترق
لكل صعب الانسان وضجيجيه ، لكل
هنواته واضطائه ، اغفري له قلقه الدائم ،
وجرحه الحزنه ، اغفري له حب استسلامه
ورغبته في المعرفة . انك تهسارين ايها
الارض ولكننا سنحفظ في قلوبنا الجلال
ي . كـ . بريك . حبك وودادك ،
ـرك وانبارك ، زهرك وشجرك ، ببارك
ـايك وليلك الساجي . و لوان التي
ترينك ، والمعبر الذي يتضرع منك ،
سنحفظه كله في قلوبنا لمحدث به الاجيال
المقبلة ، ولا نخالهم ينظرون اليه الا نظره مألوف
فردوس مفقود . آدم . . . احضر حفنة
من التراب .

آدم يحمل حفنة من التراب . يدخلان
الصاروخ ، فينطلق .
يسمع على الارض زحف الجليد ووحايت
الانحلابات الطيحية ، وكأنا فحيح الاغامي ،
يراقق ذلك صوت المواصلات الشائرة ،
والأصاير الغولية ، يرن صدها وكأنا اشاح
جسائنه في صحراء موحشة ، تحرف الظلمة ،
وتقش سطح الارض .

يحمل التراب
اناصرة .
نحوي قعوار

صدرة الشاعر

☆

يا نديبي لم يبقَ غيرَ الشراب مؤنساً لي في وحدتي وافتراني
 فاسقنيساً حتى أغيب من اليقظة الحمراء في نشوة الأمانى العذاب
 ماعرفت الحياة الا شقاء تنافى كلمة من سراب
 انا والليلُ في الثرود كلالاً موجع الروح ، موهق الاعصاب
 يا نديبي انا غريبٌ من الأرض غريبٌ عن عالمٍ من تراب
 انا من طينة الخلود براني الله روحاً ترف فوق السحاب
 في دمي ثورة الأني على الظلم وفي خاطري انطلاق الشهاب
 الدامور محمي البرية الضيل

شعر عاكف

٢٤

سبحان من خلقنا من غير حساب
 ولحسن الحظ اننا لم نكن
 نعدده
 وشم كنود زها في العلى ، فطاف سناء وفاض رواء ،
 ووشى الرحاب بلون بدا مزيجاً لاثوان طيف ذكاء ،
 وفاح أريجاً كزهر الربى أذاع شذاه الصباح الرطيب .
 فأعجب بالآمن تألف فيه جرس ونور ونشر غريب ،
 هدوء لطيف سرى في الحشا خشوعاً وسراً أجناً الحفاء .
 وطوار النؤاد شعاعاً الى مغاني البهاء وراء التخوم .
 هناك يوقع لمن الخلود رهطُ الشمس وزهر النجوم ،
 فيجري الزمان على وقفه ، وليس ابتداء وليس انتهاء .
 أنا قد ثلثتُ بذاك الزين دهرأ تقضى كيوم قصير ،
 فبهيات اصني الى نعمة من الأرض تأتي كروح أسير ،
 وبهيات يحلو لنفسي صدى ولو رجسته الى الها .

مهر بصري

بهراد

ومن ذلك قول القائل : -

وتحدث الماء الزلال مع الحصى
وكان تحت الماء دماً مضراً

فقرى انه استعار للجناد حياة، والحياة اشرف من الجناد، متع
المشبهات الجنادية صورا حورية متحركة فتنسب لمرور النسيم على الماء.
فلما تحدث لكليبيا، فتنسب لحديثها صفوة الوشي: التطريز او الوشاية
(وهنا تورية) ثم روى الحصى تحت الماء الى مرى مكنون .

وليس الغرض من هذا المقال بيان ما هو المجاز وعناصره
وإنما غرضي أن أقول أن الشاعر إذا رام مجازاً أي بما هو أصح من
الحقيقة وأتمثل . ولكن بعض الشعراء تفاوضوا عن هذا القصد
وبعض أشعارهم لم يتوسع في مجازها ، هذا القصد النبيل فتدهورت
من متعة الحسن إلى ذك القبح وانقلب القصد إلى ضده .

وربما كان العرب اكثر الامم اسرافاً في الجار فتأدى فيه بعضهم الى هذا التدهور ، لان

كل همهم كان ان يثخروا
الاستمارات والتشاييه
الحارقة. نغير نظرا الى فن
الجمال او استماع الذوق
بها ، فجاء منها ما يبعث
الذوق او تستبجته النفس ،
فن ذلك قول ابن مرقه :

وودت الى دها اراقم قريسا فتكلفت بحفاظ كنز الجوهر
على الزعم من ان الاراقم اجبت الحيات واطلبها للناس
وما اشد الثباين بين قوله هذا وقوله :

وهو من ابدع مطالب القصائد :

والغريب في المتنبي وهو فيلسوف الشعر واسع الحيال بديع
التصور ينقصه شيء من حسن الذوق في قوله :

من الجاذب في ذي الاعراب
 والجوذر هو ابن البقرة الوحشية . ووجه الشبه هنا هو اليون
 وعيون الجاذب في نظره ونظر كثير من الشعراء جملة . ويمتضى
 انجاز يجب ان تكون اجل من عيون الحسان . نبل هي بالحقيقة
 اجل منها ؟ فاذا غضبت النظر عن عيني الجوذر لا يبقى فيه الا
 الوحشية . فتصور حسنا بشكل البقرة ترعى في الحقل . او تصور
 يتروا مكسوات بالجلابيب ومحلة بالخي . فما هذا الجاز الفظيع ؟

منار الشمر نظماً أو نثراً عن الإلهام المستلهم بما يحفوه
من المجاز استعارة وتشبيهاً ، ولولا المجاز لما عد الشعر
فناً حراً ، وروى شرف من كلامه منسجماً ، وروى محمداً
في الحقيقة الناصبة الطاهرة من الثواب ، وهذا المجاز مشتمل
الفنون الجميلة جميعاً مع الشعر ، بيد أن الشمر يمتاز عنها بأنه يتبدع
من الطبيعة جمالاً ليس فيها أو هو أسمى من جمالها ، والموسيقى
تمتاز عن الجميع بأنها تعجز للحس (السمع) من ثانياً النفس جمال
النفس بالذات ، أو هي مائة ترى فيها النفس عواطفها وأهواها ،
ولماذا يرفع المجاز الصوت العقلية للتخيلة أو الشكلية عن
قيام الحقيقة ٩.

لأن المصور أو الرسام أو النحات يجمع رسومه من محاسن الطبيعة المتفرقة المبعثرة ويختار أجملها ولذا لا ذوق ، ويضرب
الطبيعة السليمة ويتعاشى النافر منها والشاذ بعد مثلاً بارعاً .

ولما كان الشاعر حوالا

في رحاب الدهن والخيلة
كان يسر له من سائر
الفنيين ان يتتقي من
الطبيعة خلاصات جمالها
ويركب منها اجالا جديداً
غير موجود بكليته
في الطبيعة نفسها فهو

كالكيماوي الذي يركب من عناصر المادة مركبات غير موجودة في الطبيعة تفوق قيمة على مركبات الطبيعة نفسها . لا تتعرض للفهم الفلسفي او الحكيمي او الاخلاقي او الروائي .

الشاعر يختار من محاسن الوجود ما تقتضيه الصورة التي يتصورها في مجلته ، ويسبكها سبكاً يستهوي النفس ويأخذ باللب ، واداته في هذا السبك الحجاز من استعارة أو تشبيه . ومن شواهد قول الخوري : -

سألته حين زارت نضو برقمها
القبلي وإبداع سمعي أطيب الخبير
فزحزحت شفقاً قطعي سقى قمر
وساقطت أولواً من خاتم عابر

فقرى انه يرفع برقمها القاني المادي الى صورة الشفق النورانية،
وعجاها الى منى القمر ، و الفاضل الى صورة اللؤلؤ النفيس ، وقها
الى شكل الحاتم الذهبي ، وقد اضاف اليه نفع الطور . فهو بالاجمال
رفع المشه عن درجته الى درجة نفاضة المشه به . وهي اسمى . .

فل نمرود منه من هذا الفن البديع .
 و . . . نو آخر : عيون المهي بين الرصافة والجسر .
 ومن امثال هذه الفضائل الاستعارية قول احدهم :
 حطرت كبدك الفنا للتأثر ورتت بلطاف الغزال الاثر
 وانتك بين تطاير وتداب في ذلك قسوة وعطفه جود
 فبالله كيف تكون عطفه الجود
 وقد اوغل العرب في هذا الضرب من التشبيه وصرت ترى المهي
 والظباء والآرام تقوم مقام القيد الحسن حتى كدنا نتوهم ان هذه
 الحيوانات مبيدات الشائق .
 وك في العيون للشاعر من ثروة البدائع المجازية التي ليست في
 غيرها من قصائد النقاد . ففي الدين سحر هاروت والشروفي
 حديقها امرأة الحسن والها . وفي خلطاتها ومضات الكهرباء . وفي
 نظراتها معان لا حد لها . واذا شاء الشاعر فلا بأس ان تكون
 فيها ايضاً سهام تحترق الصدور الى القلوب التي تتوب عن النفوس
 اللهم انها لا تحب ولا تفك دماً يقشر منه البدن .
 وفي معلقة امرؤ القيس قدرة لم ينسج الشعر : في قوله :
 ترى امر الآرام في عرصاتها وقد تعا كعبه
 (وقد اشيع حركة الكفاف ليعتدل الوزن) .
 مشعرها الى محلة واحد . بعد تر . . .
 بمر الاله في ادم وقد شبه بعض الشعراء
 للبحر الاحب للقلل الذي يطيب به الطعام .
 البحر جداً الى حد ان يتخيل الذهن البحر في الطعام . والحمد لله
 انه لم يشبه القليل بالبحر . ولا فرق بين ذلك التشبيه وعكسه .
 افلا تفر النفس من هذا التشبيه القبيح ؟ ايتقياً المرء اذا لاح هذا
 التشبيه في بابه ؟ وما اشد التباين بين هذا التشبيه وتشبيه شاعر
 آخر يصف روضة في ربيع !
 ان هذا الربيع شى حبيب تضحك الارض من بكاء الب .
 ذهب حبا ذهبنا ودرى حيث درنا وندد والدم .
 وقد زان هذين البيتين الجلسان الذي فيها المعنى في الاول
 واللفظي في الثاني .
 وكقول آخر .
 تقفر من لؤلؤ رطب ومن برد ومن افاح ومن طلع ومن حبيب
 او :
 والطل في سلك الفصوص كدو رطب يصاحبه الصم فيسقط
 والبرق تقرأ والندير صحيفة والربيع مكتب والنام ينقط
 او :
 الاقنى بسم والطير سوادح والهر يرقص والصون تصدق

ومن الشعر الذي يتفنى به اليوم للجميع بين جماله وموسيقاه ،
 ولكنه مغر للذوق ، مطلع القصيدة المشهورة : -
 نالت على يدها ما لم تسد يدي نقشاً على معص اوت به جلدي
 ولا ترى في هذا المطلع الا معنى فارغاً واسقف منه صدر
 البيت الذي بعده .
 كساه طرق قل في اناملها

الا يشرك في يدها الا ان ترى النمل يسير على سلافسها .
 و لكن قد يحول اختصارك فيه الى ارتياح رونق عجز البيت .
 او روضة رصنتها السحب بالبرد
 فاذا ددحت العجز على الصدر سارت تلك السخافة . وبعد
 عجز البيت فالقصيدة من عيون الشعر .
 ومن مستهجنات التشبيه استعارة الكتاب لورد الحاصل قول
 الشاعر .
 انت كالكتاب في حفاظك لود كالليل في قراع المطوب
 لا ريب انه لا مزيد على وداد الكتاب واخلاصه وليس في
 من ينوق الكتاب في الاخلاص . واذا ارتقى الانسان في
 وداد الاخلاص بلغ الى درجة الكتاب . ولكن اذا جردت
 من وده فلا يبقى منه الا النجاسة وتصورك ود الكتاب
 لا يدركك على تحدر مجاسته .
 الشوك في كل عصر في تشبيه العيون بالهام
 لسيف والقودو بالراح وهي كل ما كان
 للحرب من سلاح في الحروب ، وقد كانوا في حروب على الدولام .
 فلا بدع ان يتادوا في هذا التشبيه بالاسلحة حتى كأنك في حرب
 لا هدنة فيها . ولكن البدع في ان يحذو شعراء هذا العصر
 حذوهم وعندهم من انواع التشبيه الجميلة ما لا يحصى . لا اظن شاعراً
 قط اعقزل هذا الضرب من الاستعارة . وفيما انت تقرأ تجيل لك ان
 احسن المتنزلها سفاكة دماء شانة عليك حروباً مواتاً . لماذا ؟ .
 انه ع . فن ذلك قول ابي قلاص :
 عتدوا الشعور سفاك التيجان وتقدوا بصوام الاجفان
 . وهذا تشبيه بديع .
 ودوا وقد حزا وراح قدودهم عز الكفة حوالى المزان
 وتددوا زرداً فخلت ارقاً خلعت ملابسها على الفزان

فانظروكم في هذه الايات من ادوات الحرب فضلاً عن الاراقم
 التي مما يبلغ لها القلب . فكيف يمكن ان تثير الحب ونحن الآن
 في عصر تقتصر فيه الابدان من ذكر الاسلحة المائلة وسفك الدماء .
 الركية ومن الاشارة الى كل حرة تذكرنا بالدم .

ولا يصح القصيدة التي ادعاه سبعون شاعرا فيما من امة
 الاشبية اعرسي في الياض لاوين عجب
 ما في قلوبك رشا وحب سحر
 مدوي دلت اربع حشمة
 ثم قولهم في بيت آخر
 واذا دلت ودي
 تلك شياطة ودي طماعة
 اجبا يمكن ان يكون هذا السيف الخشب هو الذي في قومهم
 وادانا وقد تقسم برقا
 فارتداء دية فانه
 حصار اشرار حصار حصار حصار

ساعتراود ولا سجد لان سعته الشمس والقمر اصبحتا متحدة
ومن الشعرة يحب القراءة لانه فيه من تاسق الاستعارة
وبراعة الخبير من عجز راءه الدوق فيه وقد يكون تحصيل حـ هل
او معكوس الشبه بحيث يحط من قدر للشبه به كقول شهاب
الدين الاعزazy :

مقدمة عن الادب اليوناني الحديث

الحجرة المحزونة

للشاعر يوانس بولني

٤٢

صاغ | منه كل شيء وفقد كل شيء :
أمراته وأولاده وغناه ،
وكل ما يملك من طعام الدنيا ،
وفقد في نفسه تعزيتها ،
وتسربت في شعابها وحشة القنوط
الميتة ،
وكانه أصبح عنه من يعرفه نسياً
منسياً ،

لا يشعر فيهم شعور الاهتمام به
والمبالاة به أكل إليه أمره ،
ولا كان قسى على نفسه في
أن يفقد حتى تعزيتها !

ومن | ينظر الى عينيه في نظراتها
المثقلة الزائفة

لا يتردد في ان يتيقن من أن وعيه
قد اختل توازنه واضطرب في اندهاله
وشروده وهذيانه ،

ويترأى له قلبه صحراء مقفرة
تسودها اشباح الخيبة واليأس بعد أن تسأل
منها في شحوب باهت اي لون من اللون
الامل .

هكدا | يبدو لمن ينظر اليه ،
وكانه وقد تحجر فيه صهده
وتقل صدره بأعبائه وهواجسه وهوميه

يعرض نفسه في فوق يعرض ،

و يرضى في زؤنة ويصعد ثلاث
الانقاض في سحر متباطئ ، متمهل ،
وهذا المسكين .

يمش ولا يدري لماذا هو عايش ،

يمش ولا يدري لماذا ينبغي الزمان
ليستمر في عيشه هذا ، المحرول العايش ،
الارادة

سارق ، سارق انت ا

لم | أتر اليك لانتعم بلحظة من
الانسياس والسرور
لم أتر لتعزني موجة من الفرح والحبور
انما أتيت ،
أتيت لاشرب حق الثالثة .

فأضع في مجالس النسيان بالقرب من
اشباح الموت

وله الحمار كأماً اخرى ،
وعلى شفتيه ابتسامة تطفها
مسحة من الحزن والكآبة ، وورد عليه قائلا :
ما ذنبى لنا وما جريرتي ؟ !
وهل الذنب ذنبى .

اذا كانت هذه الدروع التي تنذفها
بسغا ، لا يعرف التجلد والصبر تنساقط
نقطاً متتابعة في كأسك !

ما ذنبى ان انت لا تسكر وان انت
تسكب !

مد دمي ان كنت تخرج حمرتي
بدموعك وعصارة قلبك !

يافا | نوبس البازمي

مقدمة عن الادب اليوناني الحديث

واللغة ايها الحمار ،

انت ايها الحمار السارق !

سارق ، سارق انت !!

الحجرة المحزونة لم تعزها !

لم تعزها ولا تبقيها خالصة في مزاجها
حادة في قوتها !

أشربها في لونها الاشقر ،

وأشربها في لونها الاحمر ،

شربها في لونها العاصي متعمر

ولكنني لا اسكر !

لم لا تؤثر في ، لم لا اسكر !

فعليك النعمة واللجنة ايها الحمار



عقرب الدقائق ، صباح يوم ، قد جأ نحو الرقم الثاني عشر في المنبه وكان صنوه الآخر قد بض فوق الرقم الرابع حين اقلت قوس الجرس واستمر في رنين - زعج متواصل ، لم يستطع معه - سجان البوري - من مواصلة رقصه في الفراش ، فب مثله لألقس النفس ، واشعل السراج وقد امتدت يده عفواً الى عينيته تفركها بكسل وغفول . فعليه ان يكون بعد نصف ساعة في المسكر ليطلق صوت بوقه معلناً النهوض من النوم . واخذ يارتدأ ثوبه العسكري مسرعاً وهو يحاذر ان يأتي بحركة قوية تقطع على امرأته وأولاده حبيل اغناهم الحفي . .

من الحلق واهتاجت في رأسه شتى الأفكار والصور تحطم ذاته وتغن فيها عصفاً وارهافاً ، فما شعر قبل ليلته هذه بشئ ما يتسلط عليه الآن من نغمة وكره وثورة وملال وبأس .

فليست هي المرة الاولى التي يعرف فيها ضنى نفسه وما تسام من . وارة البش وعذاب الحياة ، ولكن كان يدرك في كل لحظة ملاعبة الظروف وعثر الاقدار التي لا مفر له منها ما دام عليه واجب تجاه أسرته ونفسه يضطوره الى الرضخ لهذا الحكم الصارم الذي يفرضه عليه القدر . . .

لقد طرح به الزمن وهو يافع ليريه في (القناصة) بعد ما سدت حوله منافذ الجيش ، وهنا كان نصيبه نفع البوق فارضاء اول الامر حامداً لحظه في هذا السيل ، راضياً بحظه الضليل من الدنيا التي ربما تكون قد تمتعه بقطر زائد بالنسبة لموقفه تجاه غيره

من البشر المعوزين المدمسين المنبوذين ومها يكن مسن أرفق قد أصبح (صاحب عمل) . . . واخذ يارس وتلفيته بين الجنود ، اأ واقفاً امام الشكنات واما جنب صاري العلم ، واما في مكان

نافخ البوق

جوقه . . . ليكنه كالم في كل حال - نافخاً في هذا الصور النحاسي الاصفر اللون المطوي انبويه على بعضه دورة واحدة والذي ينتهي بانفواجة كبيرة اسطوانية الشكل . وكان في اليد . بهر . عرس العسكرية والتجارب الاعتيادية التي تفرضها حياة المسكر على بقية رفاقه الجنود ، ولكنه أعني من ذلك فما بعد نظراً لما شوهه من ضفه الجسيمي ولما اعتراه من اجهاد وضى والحلال ، فاستبقي للتغير فقط لاثباته ضرب احسانه المطلوبة ولاعتياده النفع فيه . وهكذا ظل على علمه المين والرتيب المؤنس في ذات الوقت ، الى ان لقي في طريقه احدي (بنات الحلال) فارتبط معها برابط مقدس ومنذ ذلك الوقت صبح له بأن ينأى خارج الشكنة على ان يكون فيها عند الوقت المطاوب .

واخذت الايام والستين تطوى وتتكسد وهو لا يشر بها او يعرف عن مرورها شيئاً سوى ما يشاهده احياناً من مظاهر

دفع نفسه في الطريق بسامة واخذت اقدامه تسير خبياً وهو لا ينظر الى ما حوله من الاشياء التي انها كل ليلة ، وكيف يطيق رؤية جدران ومنازل واشجار لا يزال يربها في مثل هذه الساعة منذ عشرة اعوام . . . حقا كم يتغير البشر ويبقى الجسادات ازالة في كثير من الاحيان لا تعرف للتبديل والتطور من معنى . وكان يشي مشيته

الاولى التي رطباً . هذه الطريق في هذه السنين الطويلة التي تراكت على كاهله حتى افاقته كل او شعور راحية ، تنفص ليوم تنفضة اليانس مكتوت وتب تصفع خيلته المطوية وذهنه المتبدل العاطل . فيفوق وكأنه مضى عليه يوم واحد في هذا العمل ، ويفكر بما سيقوم به في نهاده هذا من الاشغال ، كأنه يحاول تناسي برقاچه اليومى ، أو يتوق الى تصور شي . جديد ربما يكون غريباً عنه . فهو سيفتح الآن تغير الاستيقاظ ، وبعد فترة وبغية يعلن نهو الفطور ، ومن ثم يأخذ في قضاء حاجات الضباط وخدمتهم ، وعند الظهر يدمو الجنود الى الضاد ، وفي المساء يطلبهم الى المشاء . وبمده بوقت محدود يذق نعيم النوم . واخيراً يرجع الى منزله . . . وعندما استمرض ضفحة نهاده هذا الذي لا يختلف عن اي نهار من حياته السالفة ، عصفت في نفسه موجة



ينظم ادب مروءة

في | احدى مصحف بيروت « الفراء » مقال عاظمي احيى ذكرى ادب فقدناه ، يوم استكمل عناصر اللبنة ، وبشتا ترجو ان يفتح الادب العربي المعاصر بنتائج غنيده « فيه » ويسمو به الى مرتبة الادب المامية .

قرأت هذا المقال فذكرت ذلك الانسان البائس ، انذي عاش متألماً في روحه وفي جسده ، محابة عمره القصير حتى اذا صبرت الايام نفسه وطورت مصائب الحياة روحه ، وركزت غائده ، وشبه الدنيا في الحق وفي الواقع ، انقلب انساناً ساحراً ، جزأ من كل شيء ، ويستخرج من « فيه » حرد الله التي امتلك زبدتها ، وطاوعته ، فاذا عمر « وروب » وهذا اسمه - من اظهر الكتاب ، واقدردم ، يلب بالكتابات لياً خاصاً ، « يز اسلوبه بطابع شخصي » نعرفه به « ان في يوقع ما كتب » وتوسع من ورائه سوته ، وان في يقرأ عليك ما خط قلبه .

اقول ذكرني هذا المقال بصر ، ورايه في هذه اللغة التي يزعمون انها صعبة ، صعبة جداً ، كما يقول بعض المشتريين ذلك ان كاتب للمقال قد وقع اسمه هكذا ، ولها الحروف الاولى منه « يم - زين - نون - ولا اعتراض على الحرف الاول ، لان لفظه كما ورد صحيح . ولا اعتراض على الحرف الثالث لانه اسم هذا الحرف بالذات . اما الحرف الاوسط فاسمه « زاي » لا « زين » ، هل ما اعلمتد تلمت اسما الحروف . وقد ذكرت « كذلك » هاتين الحكيتين : حكاية مسلمي في المدينة الاولى ، وحكاية المشتري الكبير . . . عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية .

اما حكاية الادب فتلخص في ان ذلك العلم - رحمه الله - كان يجب المزاح ، ويستبر افضل اساليب التربية والتعليم اسلوباً يربح الطالب في ما يدرسه ، ويحب فيه لذة التي كان اسلوب « شخصي » (الاسلوب يعيب لاسمه) ويلتصق نيت . . . فقال لنا « ذات يوم » ونحن حليط من المجتهدين والكمالي : « العلم كله هو ان تحفظوا حروف المعاني » : فنظر بضنا الى سفر ، واعتارنا حفظ الحروف كلها في ليلة واحدة .

وفي اليوم التالي سمنا درسنا درجاً ، دون قلم ، فصعد العلم لاشدا كسلاً ، عادة ، والقصص في ذلك اليوم لساناً ، قال ثم : « ليس المهم ان تحفظ الحروف ، بل ان تعلم كيف تستعملها » ومن « واين . . .

والحكاية الثانية : حكاية المشتري الكبير . . . فقد راج يتيسر في ذكر المعصيات التي تعترض من يدرس اللغة العربية ، وبأيا بالشواهد

وجهة نظره ، والدليل على صحة نظريته ، مقرأ في لسان ان طالب هذه اللغة بحاجة الى مدة خمس سنوات ، في يتمكن من قراءة نص بسيط قراءة صحيحة . اما ان ينهم ما يقرأ فذلك مسألة اخرى . . .

وفي اعتاد المشتري الكبير ان فهم ما يقرأه المطالع باللغة العربية فيجب ان يسبق القراءة ، يعني ان التارخه بالرؤية مجلبة الى فهم ما يقرأ اولاً ليعرف ما يقع عليه بصره ، ثانياً ، بعكس التارخه ، بآية لغة اخرى ، يقرأ اولاً ما يفهم ثم . . .

وكان علي ان اقول لحضرة المشتري الكبير : « بل ان عشرين سنة لا تكفي ، وانا اعرف اشخاصاً انصرفوا الى دراسة هذه اللغة مدة ربع قرن ، وهم حتى الان اذا كتبوا اخطأوا ، واذا قرأوا خلطوا » . فاشرفت ، امام وجه المشتري الكبير ، يتبدل على اللبني والاذقان . ساعة استأنفت بأسلوب علمي ، بالطبع ، يتبدل على اللبني والاذقان . ساعة استأنفت حديثي حرد الحيلة : « ولكنني علمت اني - ابنة ست سنوات - ان تقرأ دون عه . . . ثانياً ، حرد الله التي كانت تحبها كرسب اصر حرد ، به حرد . . . حذر بوب . . .

حينئذ صمت للمشتري الكبير ، وهو يشتم كلمات لم انيها ، لانها لم تخرج من بين شفتيه المختصين - يأساً او غيظاً .

ذكرت هاتين الحكيتين - ساعة قرأت حكاية صاحب المقال في « بيروت - لسان » الفراء ، وقتت : « لو ان مسلمي الاول ، رحمه الله مرة ثانية ، رأى هذه « الزين » ، مكان « زاي » ، ماذا كان يقول بأسلوبه اللحن ، وسخريته اللاذعة ، وهو من هو « من ابتداء القرن للتصميم ونحن من نحن » في اواسط القرن العشرين ، ولحديث على كبير من الأدباء المعاصرين الساخرين .

ثم قلت لنفسي : « لا شك ان مغايبس السادة المشتريين ، ومن اهتم مستمدة من هذه المشاهدات ، كما يستمد الباحث حقائق العلم من ملاحظاته فهو يرى كل جسم يسقط ، ثم يتجه الى الارض ، فينتج : قانون الجاذبية . وهكذا ، يرى المشتري الكبير نفسه بالذات لا يستطيع ان يقرأ الا ان يفهم ، او هو لا يفهم ما يقرأ لانه لا يتحسس جس ابتاء هذه اللغة الامامية » ، ولا يدرك الجو الذي حركته الكلمة لساناً ، وحول نفسها ، على مر الصور ، فيقول : « ما اصعب هذه اللغة ! لا يفهم المرء ما يقرأ فيها ! او هو لا يقرأ الا ان يفهم ! »

وشبه بهذا اللحن ، متعلق الذين يعدلون دراسة لغتهم ، او هم يريدون حرد معر

يشكلون ، وان مشوبة : في حياهم الجارية ، فيلسافون ، يشاهلون به

عنده . وما قولك في دجل يلفظ اسم الحرف الثاني مثلاً من الابجدية (بو) بالابجدية ، وهو (بي) او (با) بالفرنسية وهو (بيه) ؟

ان عذر المشتريين ومن اهتم واضح : فهم لا يتكلمون لنتنا ، ولا يسمعونها ، ولا يقرأونها الا في كتب صفراء غالبة . ولكن ما عذر متأدينا اذا اقدرقوا المشتريين بالذات ؟

رحم الله مسلمي الاول ، ورحم عمر فاخوري . فقد جمع بينهما هذا الفز - الساخر من الاطفال « المبتدئين » ومن هؤلاء « الرجال » المتنين ، كما جمع بينهما الموت ، ومن يدري فقد يكون جمع بينهما كذلك كذا الفز - البيت الضيق الذي يتشح للاسقاء ، وللأعداء ، على حد سواء .

سعاد الفهم في دارفوت

صمد الحبس العربي الى الفهم

http://www.

القصة عندما بدأها .

تتلخص هذه القصة الرائعة ، في أن فتاة تبغ الباصير على الدس ولاور ما كانت بائسة ، ولاور ما تعتقد حبة الداسين من الناس ، وتكون أشد تمقيداً من اليوس نفسه ، ولهذا فقدت حياة - سكينه - التي خلقت حرة ، والحرة لا تأكل بثديها كما يقول المؤلف ، وفجأة تقيب سكينه عن المدينة ، وفجأة عادت أيضاً ، ولكن بعد أن اضطرتها الظروف اضطراراً لأن تأكل بثديها ، بيد أنها لم تستهوا الجرعة إلا بعد عودتها بإيام ، وبعد أن وجدت آثارها ما زالت باقية ، وما زالت تنمو يوماً عن يوم . فلم يسها إلا أن تلقي بنفسها في النهر . وتصادف أن غاب أبوها عن المدينة في هذا اليوم ولم يعد إلا بعد أن انتقلت الجثة ، وعرفت أسباب الوفاة والدوافع عليها . واتهم الأب الهري . بقتل ابنته ، وانكسر الرجل التهمة بيد أنه عاد فجأة وتذكر - شرفه - فوجد أنه من الخوف وأن لم يكن القاتل ، وأن يكون قاتلاً ، ولذلك تقدم إلى ساحة القضاء . قائلا « أنا الذي اغرقتها » .

والآن اظنكم معي في أن فكرة هذه القصص الرائعة كل الفوعة . ومعني أيضاً في أن المؤلف ابتاعها . عند كان يجب أن تبدأ بعد الجربة ، وأن يبطأ كان يجب أن يكون « » باع نفسه ليشتري شرفاً ، وليست الفتاة التي كانت بثديها .

وهذه أشياء لو لم يكن الكتاب قبيحاً لما تحدثنا عنها ، ولو لم يكن المؤلف قد رسم لنا فيه خطوط الكمال . لما طالبناه بالكمال وإن كان هذا لا يمنع من أن نسجل على أنفسنا في هذه السجالة اعتبارنا بهذا الكتاب ، وتقديرنا مؤلفه ، هذا الاقتباط وهذا التقدير الذي نقرنه بصداق التهمة وخالص التمنيات لمؤلفه الكريم الذي استطاع أن يشترك بنصيب كبير في بناء القصة المصرية .

القاهرة

امين يوسف غراب

عالمنا

لاستاذ دلم زيف ، تحرير منير البلبيكي - ١٩٧٠ صفحة

منشورات دار العلم للملايين - بيروت

هذا الكتاب ، على علاقته ، جذير بانتباه المفكرين الذين يهتمون مصر هذا العالم بعد أن انتهى من دور الحرب الكونية التي ألحقت بها ، دورها غير النيف الذي تختم نيرانه في عواصف الدول المتحدة يوجه عام وفي موسكو وواشنطن يوجه خاص ، والفكرة

الرئيسية التي يحاول المؤلف أن يشرحها ويثبتها هي أن الحرب الكونية قد رفعت الستار عن دولتين عظيمنتين هما الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفيتية ، تمثل كل منهما فلسفة تنافس مع الأخرى وإن اصطدامهما لا محالة آت عاجلاً أو آجلاً . ويتصف الكتاب بالشفاف والمبالغة أحياناً . ويتركز في نظري على الافتراض أن العالم مكون (لا صبح الله) من رجالات السالك الدبلواسي ، وهم ، على تعريف البعض ، رجال صادقون يتعاطون صناعة الكذب والخداع في سبيل أو طاعتهم . هذا الافتراض خاطي ، وأن صبح فلي الدنيا السلام . وعقيدة الكاتب المادية الجبرية كذلك خاطئة ولو تنبى عليها العالم كان مصيره السمار .

ويضطر المؤلف في تفكيره أن يوجد كشفاً للحرقة بمجمله اللوم مما كاف الأمر ، فيلقي عليه تيمة التناظر وسوء التفاهم المتبادلين بين الولايات المتحدة وروسيا ، فيرمي ذلك على عاتق بريطانيا متهماً إياها باستغلال الولايات المتحدة لأدبها الاستعماري . وحقيقة الأمر أن الشيوعية الروسية لا تريد التعاون مع الولايات المتحدة ، ويرى ولا تزال ترمي إلى نشر الدعوة الشيوعية في جميع أنحاء العالم بالطرز المشروعة أحياناً وبأساليب الطائور الخامس في أكثر الأحيان . أما زعيمها فلا تزال تتردد بين تحمل أعباء زعيم الأمم المتحدة ، وبين التمسك بالديمقراطية على عاتقها وما يرافق ذلك من تبعات من تبعات خليعة لا تتلاءم مع تقاليد الانزالية وبين العودة إلى العزلة وما يقرب على ذلك من أخطار . فالمؤلف ، على عتف تفكيره وشدة محاولاته ، لا يدرك من الأمور ما هو أبعد من أربعة آلاف .

أما الترجمة فتستاز بالمحافظة على روح الكتاب الأصلية وبدقة المعنى وحسن السبك . فمنعني . الأستاذ منير البلبيكي على جهوده الفردية وعلى جهوده في دار العلم للملايين وعلى ما ترمي إليه هذه الدار من توسيع آفاق القراء العرب وأحزابهم من نطاق اقليسي ضيق إلى نطاق عالمي واسع .

نبيه امين فارس

كتاب العرب الإحياء

للكنور نبيه امين فارس - ١٩٧٠ صفحة - دار العلم للملايين - بيروت

هذا كتاب العرب الإحياء ، لاستاذي الدكتور نبيه فارس ، أقرأه فأحس فيه روح الدكتور نفسها التي نعرفها في قاعة الدرس . روح فيها من الوداعة والظرف والراضع العلمي ما يجعلنا ، نحن

تلاميذه ، نجراً أن تجدله وأبى في كل شيء ان خارج الصف أو داخله ، حتى تمدى بنا هذه الجرة فنجدله في الصف .

في العرب الاحياء كثير من الاشياء - فيه توريخ - وفيه رسالة قومية - وفيه رسالة سياسية - وفيه فوق ذلك رسالة اجتماعية ودينية الى حد ما كل ذلك بأسلوب ظورف فيه كثير من الظرف غير المصطنع ، وكثير من خفة الروح ، واستطيع ان اقول في اسلوب الكتاب ما يقول تلميذات الدكتور فيه نفسه (خفيف الدم) .

أما التاريخ فعقل الدكتور الاول وخاصة التاريخ العربي ، والذي احبه من الناحية التاريخية في الكتاب هو عدة تحريجات تاريخية تحمل كثيراً من مشاكستها السياسية ومن هذه التحريجات اثبات دخول العرب في حضارة البحر المتوسط وامتزاجهم فعلاً بالشعوب والحضارات المتفاعلة على هذا الشاطئ ، مما ينفي فكرة المنصرية العربية ، ويعمل كلمة عرب ، تعني جميع الشعوب التي دخلت في هذا المزيج واظهرت ثمرة نشاطها من خلال اللغة العربية . .

والتحريج الثاني هو كون العرب أداروا ظواهرهم الى الصحراء . من نقل علي عاصمة الخلافة الى الكوفة . وهو هذا التحريج قد نفى الخوف المتغلغل عند الكثيرين من دعوة عربية ترعصنا الى البدواة .

والتحريج الثالث هو ان العالم العربي اليوم مضطرب جداً لان يلتفت بوجهه الى الغرب ، وهو لا يستطيع الا ان يفعل .

هذه هي التحريجات التاريخية في الكتاب التي اعتقد انها تدعو الى كثير من التناؤل وتساعد على إيجاد اسس مشتركة للتفاهم مع الحركات التي لا تشاركه اياهه بقومية عربية .

وأما الرسالة القومية في الكتاب فهي هذا الايمان عند الدكتور فارس بوجود قومية عربية يدعو اليها بكثير من الحماس يظهر في اسم الكتاب نفسه . والدكتور كثير التناؤل بنهضة عربية حديثة مع كونه يرى العقبات الكثيرة التي تقف بوجه هذه النهضة . وهو جرى بمحاربة هذه العقبات الى حد بعيد فيتعرض بالقدر اللازم الى الماركز والمنظلات والمواقف غير خاتمة بروج (سبور) اميركية . وأما الرسالة السياسية فتشتمل ببرنامجاً اصلاحياً من فصل الدين عن الدولة ، الى تأسيس الاحزاب السياسية على اساس العقائد لا الأشخاص - الى برامج تعليمية - الى وضع تصميم للوحدة العربية التي يشدها . وانا بهذه المناسبة استغرب كيف يعمل الدكتور فارس ذكر الحزب القومي وادعائه التي حققت في

منظلمتها ما تدعو اليه الحاجة من الاصلاح ، واستغرب قوله : « ولا يكاد يوجد في العالم العربي حزب من هذا النوع . » أي يقوم على اساس المبادئ . لا الشخصيات . فقد لا يتفق الدكتور مع الحزب القومي من حيث العقيدة القومية ولكن ألا يعترف له على الاقل بمبادئه الاصلاحية التي ترى انها تتوازي تماماً مع المبادئ التي يدعو هو اليها ، الا يعترف بدقة تنظيمه ، وبالروح العلمية التي ركزت هذه المبادئ . على اسس فلسفية اجتماعية . أما الرسالة الاجتماعية فتقوم باساسها على روح تحررية يحبسها الدكتور فساد بقلبه نتيجة تقربه وحياته في جامعات اميركا وواسطتها العلمية ، وهو يدعو بكثير من الجراءة الى الاصلاح الاجتماعي وخصوصاً في حقل المرأة ، ولقد أثارت محاضراته عن المرأة العربية ، في العام الماضي ، كثيراً من الضجة بالطريقة الجريئة التي عرض بها حالة المرأة اليوم في العالم العربي .

أما الحقل الديني فيدخل اليه الدكتور فارس دخول المتفرج فكأنه لا ينتمي الى مذهب ولا يتصب لعقيدة . يبحث متعلقات جميع الفئات بروحه العلمية الصرفة التي ترافق كل عمل يقوم به ، مع ان القوميين منه يعرفون عنده ايماناً دينياً يطمئن اليه ولا يتنازع عنه قيد شعرة .

هذه قصة سريعة في كتاب « العرب الاحياء » الذي هو صورة لقطات الدكتور فارس من هذه البلاد فور وصوله اليها في اميركا . فليس ان يوافينا قريباً بكتاب جديد يعكس لنا الصورة الثانية بعد ان استقر وتعود الى البلاد عن كتب .

علمي معلوف

١ - العلم وعرفته بالجمع

للاستاذ ج. كروثر - شريب الدكتور ابراهيم علمي والاساتذ امين لكتلا ٣٣٧ صفحة - لجنة القاهرة للتأليف والنشر

مؤلف هذا الكتاب عالم اجتماعي اشتغل بالصحافة والتدريس وقام بعدة رحلات وقرس يوزائف مختلفة كان آخرها منصب سكرتير اللجنة العلمية مؤتمر وزراء معارف الدول المتحدة الذي عقد اخيراً في لندن . وهو في هذا الكتاب انما يقرر نظريته مسلماً بيا وهي ان العلم ليس اداة للبحث والكشف والاخترع فحسب بل هو وسيلة للنهضة والحضارة بما يشمل جميع مرافق الحياة الانسانية ، ويؤدي الى رفاهية المجتمع ورتبه واعلا شأنه . فيالج مضمونه هذا معالجة مقننة منتحياً التسلسل التاريخي

وجود العلم لدى حضارات الأمم المتقدمة ومبتدأ في بيان كيفية نشوء العلم منذ فجر التاريخ ماراً باكتشاف النار وهذب وسائل الصيد البدائية ووسائل السحر والتدين والري الأولى واصل الحساب والهندسة والكتابة لدى المصريين والبابليين والفينيقيين والفروغ الاغريقية النظرية والنظرة الاجتماعية للعلم عند الرومان حتى يصل اشيراً الى العرب فيفرد لهم اربعة فصول متحدثاً فيها عن العلم في الاسلام وما عمله المسلمون على تقدم الكيمياء وتقدم المسلمين وذاكراً ما كان لهم من فضل على العلم والحضارة وما وفقوا اليه من اكتشافات باهرة وما كان للعلم من اثر في تطور العادات والتقاليد في المجتمع الاسلامي ... وهنا لا نستطيع الا ان نمتب على المؤلف الفاضل وهو العالم الاجتاهي باغاله العرب واكتفائه بكلمة المسلمين والاسلام لان في هذا الشمول افرقاً في توجيه الحقيقة وبعداً عن التبريد فالعرب يجمع طوائفهم كان لهم النصيب الاكبر في الجهد الذي نمته بالاسلامي دون اية اشارة الى العرب الذين كان لهم فضل المساهمة في بيان الحضارة الانسانية. ولا ندرى فرض المؤلف من اغفال كلمة العرب على الاطلاق في مجرته اللهم اذا كان هناك غرض سياسي مقصود ومهما يكن فهذا خطأ لا يفتقر كان على المعربين الاثلاث اليه . ويتابع المؤلف بحمته حتى يصل الى تطور العلوم في عصرنا هذا والنفوذات الاجتماعية التي تنطرق الى مختلف طبقات الأمم ، ويبحث البحث كثيراً عن القضايا الاقتصادية التي تشغل العالم اليوم كالبؤس والفساد الاقتصادي والنوع الجديد من الرق وعرقلة التقدم العلمي الخ ...

وهكذا يعالج المؤلف في قصة الاخير قضايا خطورة لا تزال موضع اهتمام العالم اليوم بأجمعه ، وجاءت معالجته على اقتضاها دقيقة مفصلة جامعة يجيد بالفارسي العربي الالمام بها والاطلاع عليها .

هذا والكتاب مصاغ بلغة سهلة بسيطة قد لا ترتفع الى درجة البلاغة ولكنها لا تنسب من المستوى الادبي الوسط وقد ارادها المعبران وسيلة لتقريب النظريات العلمية الشائكة الى اذهان العامة والطبقات الشعبية فاحسنا بذات صنماً وجمالاً الفائدة اعم واوسع انتشاراً ، وجاء الكتاب اهلاً بالتقدير والاهتمام .

٢ - الشمس الفاربي

للاستاذين علي عبد السلام وحسين موسى - ١٨٨ صفحة
لجنة الفاعرة للتأليف والنشر

يتضمن هذا الكتاب ذو القطع الصغير عدة مواضيع سياسية

تدور في معظمها حول فشل مؤتمر السلام الاخير الذي عقد في باريس وعن الاسباب والمطامع التي تستمر في نفوس الدول الكهري وادت الى فشله . وهو يعني بصورة خاصة بالتحدث من افول نجم اوروبا كموقع للدول المسيطرة على العالم وانتقال السيطرة العالمية الى تاجنتين يمدتين من اوروبا احدهما في الشرق وهي روسيا والاخرى في المغرب وهي امريكا . ولعل عنوان الكتاب مستمد من هذا المعنى ...

اما المواضيع التي تتحدث عن مؤتمر السلام فهي مواضيع صحفية لا تدرى اي المؤلفين كتبها لانه يقم من قوله انه شهد هذا المؤتمر وتتبع جلساته واتجاهاته بعناية .

هذا والكتاب لم يأت بتجديد عما نشرته الصحف في حينه من وصف للجلسات وتحليل لنتائج والبحاث المؤتمر وتكون قيمته من هذه الوجهة ضئيلة ليست بذات بال .

اما من الوجهة الادبية فالكتاب يوصفه بعض المشاهد العامة في اوروبا وفرنسا على الاخص وتصوره لمستقبل الحياة في هذه المناطق الاوروبية كشاهد ألم بها فهو موقف لا يتخلو من الطرافة وصدق التحليل .

هذا والاسباب الكتاب رغم تناوله مواضيع سياسية تحليلية بالوصف والتفصيل لا يخرج من المسحة القصصية التي تشوق القارى . وتنتهي على المواضيع روح الحوار والدعابة وللمتعة الفنية .

٣ - محاضرة امم موعدة

للاستاذ جورج برير - ١٣٧ صفحة - المطبعة للمخاضية ، دير المنصور مبردا

في هذا الكتاب دعوة مغلصة لاجتناب مقاصد المدنية الحديثة وعودة على ما يبري بين قتيان العصر من روح الدعارة والتشاك والتفسخ الاخلاقي . فأمر بشاينا اليوم مطالعة هذا الكتاب الصغير الحجم الجليل الفائدة الذي يعالج بالاسباب مبسط طريف مشاكلنا الاجتماعية واخصا القصور والاقبال على الماذن والشهوات فيعطلها تحليلاً منطقياً صادقاً ثم يعرض دوافعها ويخلص الى نتائجها وآثارها الوخيمة في حياة العائلة والمجتمع وبينه فاعدها وشروطها وامراضها .

ونحن ارحم ما تكون اليوم الى بث الفضيلة في نفوس النش . في عصر يكاد يصح التكاليل على الرذيلة فيه فخرأ وفضيلة . وهذا ما يجز في نفس كل فيرور على مستقبل امته واخلاقها وما يدفع وائلنا القاض الى البحث هذه الظاهرة الخطورة ومحاربتها بكل قوة عن طريق العلم والحجة والمنطق . فبلغ من الترفيق مبالغاً يشكر عليه .

بهذا واسلوب المؤلفات سلس سهل مشوق لا يخلو من الاغراق والصناعة بما يضيئ على غاية الكتاب النبية ثوباً من الجلال والتمتع .

٤ - مؤتمر الطلاب العرب في لندن

٩٦ صفحة - منشورات مجلة العروة الوثقى في الجامعة الايركية-بيروت
هذا سجل لما دار من اجاث والتي من محاضرات في مؤتمر الطلاب العرب المنعقد في الاسبوع الاول من شهر غوز سنة ١٩٢٦ في لندن ، والذي ضم نخبة من ابناء العروبة الذين يدرسون في مختلف جامعات انكلترا . وما هي غاية مؤتمر كهذا يحضره طلاب مثقفون يمثلون الاقطار العربية بكاملها ان لم تكن الدعوة الى الاتحاد والتعاون وبث مشكلات العالم العربي اليوم . ومن برنامج المؤتمر يتضح مدى اهمية اجاث هذا المؤتمر الممتاز الذي تناول في اليوم الاول معالجة اسس ومستقبل الجامعة العربية في السياسة الدولية وفي اليوم الثاني اصول التشريع الاسلامي وصلاحيته للجميع الحديث ، وفي اليوم الثالث موقفنا من الثقافة الغربية . ويحتوي هذا الكتاب على نص المحاضرات التي القاها اعضاء المؤتمر وهي اجاث قيمة خلية بالدرس والتحليل لما فيها من تحليل جيد وواضع خلية لها اسس العلاقة بجاتنا العامة .

ولا يسع القارىء الا تقدير فكرة المؤتمر المصنوعة وتقدير جهود اعضائه واخيراً تقدير جمية العروة الوثقى التي برزت سبيل مطالعة هذه الابحاث ففشرت على العرب هذا الكتاب الممتع .

٥ - انا عائذ من موسكو

الدكتور جورج حنا - ١٢٥ صفحة - مطبعة الكشاف - بيروت

هذه مشاهدات طريقه عميقة أملت بها نواحي الحياة الروسية على المؤلف اثناء رحلته الاخيرة الى موسكو او تتبع اوضاع هي دارسات عابرة مقتضية للحياة في ظل النظام الشيوعي عني بها المؤلف عنابة الرحالة المتفرس والمشهد المستعظم فجاء منها هذا الكتاب ذو الحجم الوسط يعطي القارىء صورة واضحة عما - دعاه الناس عندنا - بما وراء الستار الحليدي .

ان الحياة في الاتحاد السوفياتي بالنظر لتضارب السياسات الدولية في محيطنا لم يتج لنا نحن العرب الاطلاع الكافي عليها بصدى وتجرد وما برحت صورتها مشوهة قد لا تتفق والحقيقة . حتى ظلم علينا في نظرنا في المدة الاخيرة الدكتور جورج حنا - امين سر المؤتمر الوطني - بكتابه هذا « انا عائذ من موسكو » فاذا به يجلو عن الحقيقة بعض الغشاء مما علق بها من الاوضار والاشواب .

يتناول المؤلف في هذا الكتاب بالوصف والتحليل سقي النظم العامة والحالة التي يتبعها الروسيون في معيشتهم من نظام في السكن ونظام في العمل ونظام في التجارة والطب والزراعة الخ . . فكل شيء في روسيا هو رهن النظام وقد لا تدعشك دققت صرامة هذا النظام الذي يأخذ على المراء جميع ماله اذ علت ان لا مبرة للوزير على اي فرد كان ولا محسوبة في الدولة ولا مسامحة عن مخالفة يرتكبها رئيس او موظف في الاتحاد السوفياتي او بكلمة اوضح ان كلمة فوضى لا اثر لها البتة في روسيا .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن ركني النظام السوفياتي وهما : العمل ، وتأميم الزرعة . ثم عن التجارة في الخلق اي ضمن الحدود التي تكفل رفاهية الشعب وتدني اسباب الميثة . وعن مكافحة الامية ونشر التعليم وعن الطب والمرأة والطفل والاسرة كل ذلك بأسلوب فيه كثير من الامثلة والمشاهد التي صادفها المؤلف وتجرى عنها واحتك بها .

وكانت عنابة المؤلف وهو طيب منصف ، بصودة خاصة على التحليلات عن تقدم العلوم والحالة الطبية في روسيا فكان الفصل الذي افردته عن الطب متمماً شائعاً طويلاً .

وقد شرح المؤلف في ختام كتابه مفهوم الديمقراطية عند الروس والاشكال التي يكون وحل ما هناك من فرق شائع بين الفلسفة الماركسية والاشيالية الحديثة . وبين بطبيعة جدلية انتظام الامور تحكمها الحروب والاضداد كتنويرته كوفوزي تعدد الاحزاب وتحكم الاكثرية بالاقالية . ولعل المؤلف هنا متأثر باحكام الشيوعيين على انفسهم فجاء بمثل اقرب الى التقييد والدعاية منه الى التحليل الصحيح المنطقي .

هذا هو مجمل الكتاب الذي وصف الحياة الروسية وصفاً دقيقاً متمماً وحلل اغلب النظم الاجتماعية التي يسير عليها الناس هناك وعقب اخيراً على هذه النظم ، فوقف المؤلف منها موقف الشاهد المقرظ بدل ان يقف موقف المنتقد ، اذ اني لم اعثر مع احترامني لتزاه المؤلف على وقفة انتقاد واحدة او لقطة الى نواحي النقص في تلك البلاد لان النظام الشيوعي مهما بلغ حد الكمال من التطبيق في روسيا لا يخلو من هنات ونواقص كان يجب اطلاق القارىء عليها ، دام المؤلف في معرض الصراحة والتزاهة .

وبها يكن فالكتاب هو الاول من نوعه يطلع العرب على ناحية مجهولة من حياة شعب يعد من اكبر الشعوب في العالم يعيش اليوم تحت سيطرة حزب واحد ونظام واحد وفكرة واحدة . ادب مروءة

